زينة النساء

شخصيات المسرحية :

أبو الفضول	الحلاق . شحاذ الآن
زينـــة	أرملة وحيدة
جانـار	جارية زينـــة
الحافظ عبد الحفيظ	أمين سر محكمة بغداد
شبندر التجار	
الخليفة	
الوزير	
القـاضي	
مسرور السياف	

المكان : .. بغداد الخيالية

الزمان : .. بعد واقعـــة الحلاق الأولى بأسبوع أو بشهر كيف شئت

مقدمة

أبو الفضول : (وحده على المسرح . يخاطب نفسه . والمنظر محايد تماما)

كل رجل شكوت له همى ، وشرحت له بلوتى ،
قال لى : «كنت مقيما مستريحا فما ضرك إلا فضولك» .
والله إن هذا أعجب العجب ! يا ناس ! ياعالم !
يا هوه ! أنا الفضولى ؟! هل آذيت أحداً ؟ سرقت ؟
نهبت ؟ قتلت ؟ أبدا . ومع ذلك جرّدنى القاضى
الظالم من رخصة الجمال . تقولون لأى سبب ؟ أنا
أيضا أريد أن أعرف . « لا تحلق ذقون الناس ! »
قلنا طيب . « لا تحمل أمتعة الناس ؟ » الله ! ماذا
أشتغل ؟ أشحذ ؟ أشحذ على آخر الزمن ؟ عشاؤنا
عليك يا رب !

أنقذت حياتين وزيجة . أنقذت حياة يوسف وياسمينة وزوجتهما . ولكن من يحمد ومن يشكر ؟ حتى سيدى يوسف الذى جعلنى الله سببا لنجاته وزواجه من معشوقته ، قد جعله الله لحكمة لا يعرفها إلا القاضى ، سببا لضياع رخصتى التى تؤهلنى لحمل أمتعة الناس والارتزاق . ومع ذلك أنكرنى يوسف وأبغضنى !

عشرة أفواه فى بيتى تطلب الخبز ، تطلب اللحم أخزاها الله ، ولا رخصة عندى . وكلما قلت للمرأة التى فى البيت : «لم تعد عندى رخصة ياولية!» تقول : «أنت الذى وضعت رأسك فى الجراب !»

أنا ؟ فعلا . صحيح . بالضبط . أنا الحق علىّ . الحق علىّ أنا . مالى وللناس ؟ مالى وللعالم ؟ إن شاء الله يخرب !... فضولى ! حشرى الا ترجع عن إنسان حتى تعرف بليته ؟! إنت مالك ! دع الخلق للخالق . دع القتيل يُقتل والضائع يضيع ! . .

هكذا يقولون لى . .

مع أنى لا أقصد إلا الخير والله . الخير يلحّ علىّ

ويسحرنى ويزجنى . . دوائى وشفائى هو أن أهب للنجدة ... ثم أجد نفسى فاقداً الشغل فاقداً الرخص !

أريد من يضربنى على رأسى كل صباح ويقول لى: « لا شأن لك بغيرك . إشتغل كالاعمى أو خذ على دماغك » .

آه ! اختلفت علينا الرياح وأظلمت السماء. فى باطنى جرح ، وجرح ، وجرح . وقعت الجراح على الجراح . . وليس فى كتب الأولين وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم مصيبة كمصيبتى ، ولا جريمة كجريمة القاضى الذى سحب رخصتى بلا وجه حق . أى والله . إن قطع الطريق عند الله أهون من قطع الرزق . هكذا فى الكتب الصحيحة .

مظلوم ظلم الأوائل والأواخر. ولكن من يسمع ومن يرى . لقد انقلب حال الدنيا ، وبعد أن كان الفضول مشتقا من الفضل والفضيلة . . أصبح جريمة خطيرة !

لذلك سأتوب. سأتوب عن الفضل والفضول معا. أمرى لله . أمركم لله يا مكروبين ويا مأزومين .

لا يسألنى أحد عونا ، لا يستغيث بى أحد . لو خربت الدنيا لن أمد يدى. وأنا مالى . على رأيك ، خلها تخرب .

ها أنذا أشهد الله ، أنى أنا أبو الفضول الحلاق، الجمال الشحاذ ساكن الجارة الجوفانية . . عاهدتك يارب : إذا رأيت رجلا فى ورطة ، أو سيدة تسح دموعها ، لا أسألها مالك،ولا أسأل نفسى مالها. إذا استغاث بى صبى يغرق فى دجلة أو استغاثت صبية ـ مهما كان جمالها ـ وصاحت علىّ : «إلحقونى!» . . لا أمد لها يدى .

عاهدت الله لا أسأل ولا أتساءل .

سأضع عصابة على عينى لا أرى . وأسد أذنى بالخرق لا أسمع . وأروض فمى لا ينطق إلا : « يجعل بيوت المحسنين عمار يارب العالمين ! » إمضاء : أبو الفضول. (ولكنه يبصم فى الهواء لا يوقع باسمه) هه!

المنظـــر : بهو بيت عربى متوسط الثراء ، وغرفة داخلية صغيرة إلى يسار البهو توصل إلى داخل الدار ، وما يلى باب الشقة القائم فى الحائط الأيمن من بعض درج وبسطة . المنظر مقسم بذلك إلى ثلاثة أجزاء . . ولكنه مقسم بلباقة ورشاقة ، تقسيما لا يكاد يحس فيه افتعال . البهو هو الجسم الرئيسى للمنظر . وفى صدره شبا كان عربيان عريضان يطلان على الطريق وقد حسرت عنهما الستائر . وفى وسط البهو أريكة عربية مريحة تحوطها مقاعد ووسائد وأمامها سجادة. وعلى الحائط الأيمن دولاب عربى عال وله مرآة عظيمة . . يليه باب الشقة تحت عقده التقليدى . وقد يواجه الدولاب فى الجانب الأيسر مرآة كبيرة وأصص زرع أو زهور صناعية . وفيما قد يحلو لمصمم الديكور إضافته من زينة أو زخرفة يحسن

أن تتأكد لمسات أنثوية أنيقة تدل على ذوق حسن وطراوة وأنس .

أما ما يلي باب الشقة فلا حاجة بنا لأن يكون على رحابة . فإننا لنقنع منه بما يكفي لوقوف رجل ظاهر يطرق الباب . ويحسن أن يكون موضع الباب وخارج الباب هو زاوية أسفل يمين المسرح . أما جزء الغرفة الداخلية عن يسار المنظر فيحسن أن يقابل الباب أسفل المسرح أيضا ، وأن يكون محـــدود المساحة قليل الشأن . إن هذه الغرفة الداخلية هي همزة الوصل بين البهو وسائر البيت ، وقد تكون مرتفعة عن البهو درجة أو منخفضة درجة ، يفضى إليها عقد ينسدل من أعلاه ستار نصف مفتوح . لا يهم أن يكون بها أثاث ظاهر ، اللهم إلا أريكة ضيقة ممتدة بطول أحد حوائطها غير الظاهرة بكليتها للناظر من الصالة بالطبع .

ويحسن دائما أن تختلف درجة الإضاءة أو لونها فيما بين أقسام المنظر الثلاثة حسبما يقتضى الموقف ، وبما ينسجم مع طبائع الأشياء ، لتأكيد انفصال هذه الأقسام عن بعضها .

فى البهو سيدتان: «زينة» صاحبة البيت، وجاريتها «جلنار» . زينة هى أكمل نموذج للجمال العربى ولسحر وفتنة الأنوثة العربية الناضجة . وهى أرملة فى قمة الشباب ، لا تخلو من مكر . إلا أن مكرها يكاد أن يخفيه هنا شرف القضية التى تدافع عنها بكل ما أوتيت امرأة من قوة وجلد على الدفاع . جلنار أكبر منها سنا ولكنها ليست بعـــد فى السن التى تطمس آثار الجمال الشركسى الغارب . وهى أقل ذكاء من سيدتها ، وأميل للخضوع للأمر الواقع رغم عجزها عن التصريح بذلك ، تحوطا من غضب سيدتها ، وتمسكا بأمل ضعيف فى تدخل العناية الإلهية فى اللحظة الأخيرة .

الوقت ضحى . . والمدينة بغداد .

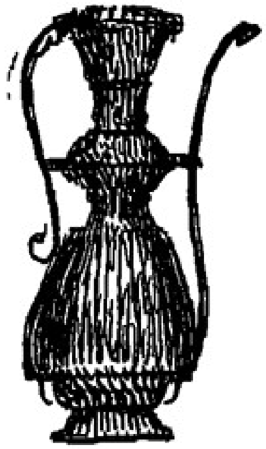

زينة : أنا التى لبست خير الثياب ، وتحلت بأغلى الحلى .
أنا التى تزوجت أحسن الرجال ، وسكنت أرقى
الأحياء . . أهون ، أذل ، حتى لا أستطيع أن أدفع
عن بيتى ذئبا مغيرا ! لا أملك من جسدى ومن
روحى شيئا ! الموت عندى أهون من استقبال أمين
سر المحكمة . سأفضحه الفاسق . كيف يجرؤ !
سأصرخ وألم الجيران . سأقول : «امسكوا حرامى !» .
حتى تتزاحم الناس علينا من الشبابيك ومن الباب .
لتضبطه متهجما على بيتى . .

جلنار : الله يسترك ويفضحه يا سيدتى . ولكنه هو الذى
سيفضحنا إن فعلت . .

زينة : كيف ؟ فى بيتى ويفضحنا ؟

جلنار : لمّح لى بذلك الكافر .

زينة : جلنار ، لم تقولى لى .

جلنار : لم يطاوعن لسانى أن أنطقها .

زينة : تكلمى . ماذا أخفيت عنى ؟

جلنار : قال لى ان الخليفة قد عهد إليه بالتفتيش عن بيوت النساء . . ال . . المفضوحات يعنى ، وأن يتجسس عليهن ولو متنكرا فى غير هيئته . وقال الله لا يهنيه أن بعض الناس تقولوا على بيتنا . . يقولون سيدة مات عنها زوجها منذ عام ولا أحد معها فى البيت إلا جاريتها ، وهى زينة بغداد حسنا وجمالا . . قلت له : بره وبعيد الله يقطع ألسنة السوء . فقال : أرجو أن تحسن سيدتك استقبالى غدا ، اليوم ، الآن .. وغمز بعينه الملعون .

زينه : (فى استنكار وخوف) هل يجرء أن أنا صرخت ، أن..

جلنار : إلهى لا يعى يتكلم .

زينة : يقول للناس أنه إنما جاء يضبط . .

جلنار : إلهى ينتقم منه .

زينة : لكى أنجو إذن من تهمة فسق ملفقه ، يتعين على أن أفسق فسقا كامل الشروط ! . . أهو الذى يكل إليه الخليفة تطهير بغداد ؟ . .

جلنار : نحن ولايا ياسيدتى ، وليس لنا فى بغداد رجل يقف لنا .

زينة : سأقول للقاضى .. للوزير . للخليفة نفسه . سأصرخ عليه فى موكبه استوقفه . .

جلنار : الله وحده سيصدقنا ، لأنه يرى ، أما الحكومة فتصدق بعضها .

زينة : كل هذه المصائب لأن زوجى ائتمن شبندر التجار على ثروته ولم يأتمن زوجته..

جلنار : يرحمه الله .

زينه : سنة وأنا أسعى هنا وهناك بلا فائدة. التراضى مانفع، والتقاضى أوقعنا فى أمين سر المحكمة . ماذا أفعل يارب ؟

جلنار : لعل الله أن يهدى الشبندر إذا كلمناه .

زينه : لا فائدة يا جلنار . لا ينى يقول : « هل لك فى مواصلتى وأكفيك الحاجة » .

جلنار : الله يقطعه هو وأمين سر المحكمة . كل الرجال سواء..

زينه : أى شىء يستر من لا مال له؟ ألف دينار أودعها زوجى عند الشبندر ، ولا لقمة فى البيت. انقضت سنة أكلنا فيها حلي وملابسى وكدنا نأكل أثاث البهو بعد الغرف الداخلية . وبعد هذا وذاك عرضى . .

آه ! هل يجازينا الله عن ذنب نسيناه ؟

جلنار : وحق من جعل لك اسما على مسمى : زينة بحق .. ليس ذنبا جنيناه ، ولكن جمالك هو الذى أغرى الشبندر وأمين سر المحكمة ، وما لا نعلم من الناس . جمالك يازينة الستات .

زينة : كان جمالى يجعلنى اختار من كل شيء ما أشاء ، والآن يحملنى على أن استسلم لمن يشاء !

جلنار : لا قدر الله .

زينة : ما الذى يغريهم بنا يارب ؟ هل أنا متبرجة ؟ هل أتزين أكثر مما تقضى أصول الحشمة ؟ أبى ما يغرى كل من كان يطارحنى الغرام ؟

جلنار : اسم النبي حارسك . وجهك يبهر الناسك والعابد ، ولا تريدين أن تصونى ما حباك الله من جمال .

زينة : أنا ؟ لا أصون جمالى ؟

جلنار : أما كنت سمعت نصيحتى ياسيدتى وتزوجت ؟

زينة : (بعصبية ظاهرة) أتزوج بلاشهية ؟ أتزوج الصبي الأبله ؟

جلنار : ابن أمير ومفتون بجمالك ، اسم الله عليك .

زينة : أتزوج العجوز المزواج ؟

جلنار : أغنى أغنياء البصرة . كانت على ذمته ثلاث زوجات ولكن ماله كثير وربنا أعطاه .. الله يرحمه . كنت ترثين .

زينة : لا تفهميني يا جلنار ، أنا عنيدة ! لا اتنازل قيد شعره. ليذهب جمالى فى الزوبعة، ولكننى أظل عنيدة.

جلنار : وقاك الله السوء .

زينة : لن أدع أحدا يبتذلنى . إذا دخل أمين سر المحكمة الآن سأقتله أو أقتل نفسى.. سيان عندى.

جلنار : كفى الله الشر ياسيدتى. الموت أحسن عندك من الزواج؟ كنت تزوجى رجلا يحميك . ظل رجل ولا ظل حائط ، هكذا يقولون .

زينة : أين أجد هذا الرجل ؟ لا أريد صبيا مدللا أو عجوزا ثريا . لا تهمنى الثروة أو الجاه . تهمنى الرجولة . الشهامة . : رجل يغرينى بفتوته وأقدامه . يحمينى - لا بماله وجاهه وأعوانه - وإنما بقلبه الجسور المحب. ليس كزوجى السابق يودع ماله عند الشبندر لأنه يخاف بدواتى ولا يثق فى عواطفى ، وإنما يودع ماله عندى وهو على تمام الثقة من خضوعى وانصياعى لمشيئته . رجل يفرض على سيادته . رجل ! أين هو ! أحلام أبعثرها فى البيت ، والبيت ستلتهمه النار بعد دقيقة . .

(يرتقى أبو الفضول درجات السلم المفضية الى الباب ويطرقه. العصابة على عينيه ، والحرق فى أذنيه ، وعلى ظهره خرج

عظيم الحجم الا انه فارغ تماما . انه يطرق طرق من يستنكف من عمله الجديد . شحاذ ، ليكن . ولكنه لم يفقد أبدا حيويته واعتزازه بذكائه. الا أنه الآن يكاد يكون فى أسوأ حالاته . وما أن يطرق أبو الفضول الباب حتى تقفز السيدتان وقد تملكتهما حالة توتر عصبى. لحظة سكون لا يفوت أبا الفضول فيها أن ينصت بأذنه المحشوة بالخروق وراء الباب وينتظر . ثم سرعان ما ينفد صبره فيطرق طرقا أشد . .)

زينة : الآن . . ها هو . إن كان لا مفر لى من ذلك ، فليغفر الله لى . (تستل سكينا من طيات ملابسها)

جلنار : (تصرخ) يا خرابى . سيدتى . لا تغضبى الله .

زينه : أغضبه فى هذا خير من أن أغضبه فى ذاك .

جلنار : (تطوقها) رحماك يا سيدتى . انتظرى حتى نكلمه .. نحاول أن نردّه بالحسنى.

زينة : (تصرخ بقصد أن يسمعها الواقف خلف الباب . والواقف خلف الباب قد أخذته الدهشة من الصياح ، وقرب أذنه المحشوة بالخروق من الباب) ما جريرتى أقول لك ؟ أجريرتى أن شبندر التجار سرقنى وراودنى فجئتك ألتمس رفع قضية عليه ؟ والله لو كنت لجأت للخليفة نفسه لعله كان طمع فىّ . . لم يعد فى الدنيا خير ! خربت الذمم ! .

أبو الفضول : (من وراء الباب) ماذا تقول الست ؟ لا أسمع . تشتمنى أنا؟...(يصيح) ياست افتحى الله يفتح عليك.

زينة : أنظرى كيف يظهر اللين ...الرجـــل ! انفتحت فى رأسك طاقة ! سأقول له مايصك" أذنيه . (تصرخ) يا فاسق . يا رذيل . يا كافر . يا لص الأعراض . يا خائن . تعالى نخذنى جثة . خذنى جثة هامدة ...

جلنار : (تعترضها حق لا تفتح الباب) يا داهيتى ، دونك يا ست ادخلى أنت . لا تفتحى أنت . يا خرابى ! ...

أبو الفضول : خذنى ؟ ! والمصيبة التى فى البيت ، كيف أنجو من برائنها ؟ هه !

زينه : آه ! اسمعى إليه الآن يتعلل بزوجته . . الفاسق !

أبو الفضول : فاسق ؟ ! سترى بلاها علىّ هذه المرأة ، ولم أستفتح بعد ...

زينة : (تشهق) تستفتح ! دعينى أؤدبه . دعينى .

جلنار : لا تفتحى يا سيدتى . أخاف عليك منه .

(ولكنها لا تقوى على منعها . الآن قد فتحت زينة الباب وسرعان ماخطا أبو الفضول للداخل مندهشا أكثر منه ساخطا أو حنقا ، ومع أن السيدتان كانتا فى انتظار وحش مفترس هو أمين سر الحكمة ، فمن عجب أنهما تراجعتا إلى الداخل فى خوف مفاجىء ، ودهشة عقدت

لسانيهما برهة ، وقد أمال أبو الفضول رأسه الى الوراء ليرى من تحت العصابة فما وجد الاسيدتين قد غطيا وجهيهما على الفور بأطراف نقابيهما) .

أبو الفضول : يجعل بيوت المحسنين عمار يارب العالمين . اجعليني أستفتح يا ست .

جلنار : يخيبك رجل ! كيف دخلت ؟

زينة : ما أنت ؟

أبو الفضول : (ساءه الاستقبال والشتائم والاستنكار . ولكنه آلى على نفسه الا يسأل شيئا ، فتراه ضيقا بالموقف كله كما هو ضيق بحرفته التي أكره عليها) يسألونني عادة من أنت . ولكن ها هي امرأة تقول: ما أنت ابن آدم يا سيدتي . رجل . لا املأ العين ؟

جلنار : شؤم الرجال . تدخل بيوت الناس هكذا بلا إذن ؟

أبو الفضول : لماذا تجدينني شؤم الرجال يا حيزبون ؟

جلنار : (تشهق) يا مصيبتي !

أبو الفضول : ومع ذلك طرقت الباب مرتين . وسمعت صراخا كأن أحداً يكلمني ، ثم فتح الباب . لا أدخل ؟ إيه الحكاية ! .. (مستدركا) لا يجيبني أحد على سؤالي . عاهدت الله لا اسأل شيئاً . اعطني شيئاً استفتح به وأتوكل يا ست .

زينة : (لم تفق تماما بعد) ماذا ؟ ! أنت شحاذ ؟ !

جلنار : في هذه الساعة يا شقي تطرق الأبواب وتشحذ ؟

أبو الفضول : في أي ساعة تحبين أن أشحذ منك ؟ الساعة عشرة وزيادة يا امرأة ! ألا تعجبك الشحاذة الساعة عشرة؟

جلنار : انظري كيف يرد الأعمى علي .

أبو الفضول : لست أعمى . إنما أعصب عيني نذراً . نذرت ألا أرى الناس بعد أن كرهت أحوالهم . ووالله إني بعصابتي أحد منك بصراً .

جلنار : ليس أعمى. والله هكذا حدثني قلبي . (ترد نقابها)

زينة : وماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟

أبو الفضول : الله ! على مهلك يا ست . ألا ترين بعينيك ؟ شحاذ . ماذا يريد شحاذ منك ؟ هه ؟ أن تقرأي له الكف؟

جلنار : كيف تكلم السيدة يا رذيل . الله يقطعك !

أبو الفضول . (يلقي برأسه الى الوراء لينظر من تحت العصابة فيما حوله) الناس جئت في هذا البيت . شحاذ يا سيدتي شحاذ . أريد طعاما . ملابس . نقوداً . أشياء قديمة . . أي شيء . عشرة افواه في بيتي تطلب الرزق ، وعلي رزقها من بعد الله ، ولا صفة لي، ولا رخصة عندي . . فأنا أشحذ . ومهما أعطيتني لا أغضب ولا أتبطر . إسمي أبو الفضول ولكني عاهدت الله أن أكف عن الفضول . كنت حلاقاً ثم أصبحت حمالا ثم

صرت شحاذاً ، وجئت إلى بابك أستفتح . لم انطق
إلا كلمتين : « اعطنى لله يا ست ! » فهل اعطانى أحد
شيئاً ومشانى ؟ أف من لكاعة الناس وفضولهم .
فى بيت كهذا فاخر الأثاث ثمين الرياش ، الناس
يأكلون حتى يشبعوا ثم يرمون الفتات . وأجىء
أنا لألم فى خرجى الفتات . . فإذا هم بدل الحسنة
يمطروننى بالأسئلة : ما أنت ؟ كيف دخلت ؟ من
أذن لك ؟ ماذا تريد ؟ لماذا لا تتعلم صنعة ؟ كم فرداً
تعول ؟ كم ضرساً فى فمك ؟ أنت أعمى أم مفتح...
الله ! كفرنا ! هى محكمة ؟ !

جلنار : انظرى كيف يثرثر المجنون ! أهذا وقته ؟ مصائب تترامى علينا والله . أخرج ! كما دخلت أخرج .

أبو الفضول : كما دخلت أخرج ؟ اقتراح حسن. حباً وكرامة ياستى. دخلت باختيارى وأخرج باختيارى .

جلنار : كيف تجرؤ أن تدخل بيوت الناس ؟ . .

أبو الفضول : الأسئلة ! . .

زينة : أتخرج أم أدعو الشرطة ؟

أبو الفضول : الله ! سيقولون لص اقتحم البيت ! من من الناس لم يرم بلاه على . ولكن إعلمى يا سيدتى أنى رجل مرازى . لقد تكلمت مع الخليفة نفسه وجهاً لوجه .

هه . . (مقلدا المرأتين) «كيف تجرؤ أن تدخل بيوت الناس! «أتخرج أم أدعو الشرطة؟» أننا ندخل بيوت الله بأيسر مما ندخل بيوت الناس . اعطني ومشي يا ست لم أستفتح بعد، ولا وقت عندي . اعطني أمال .

زينة : مرازي صحيح . إني لأعجب أن كان رجلا بحق .

أبو الفضول : (يبتسم) هذا تعليق السيدة . أنا أعجبك يا ست . رجل صحيح . الله يلعن الزمن . .

جلنار : أنظري كيف يتكلم ! ما أنت ؟ حلاق ؟

أبو الفضول : هذه فطنة الخادمة اللعوب . تعرفينني بالتأكيد . أرأيتني في الدكان ؟ في السوق ؟ .. في المحكمة ؟ .. في الشرطة ؟ .. في ..

جلنار : عرفتك من فضولك وثرثرتك .

أبو الفضول : لا لا . إلا هذا. لست بالفضولي . لقد تبت وعاهدت الله . لو كنت فضولياً صحيح كنت سألتك وسألت سيدتك . ولكني لا أريد ، فما ضرني إلا فضولي..

زينة : كنت تسألني عن أي شي ؟

جلنار : لا تأخذي وتعطي معه في الكلام يا ست . فلعل أحداً دسه علينا .

أبو الفضول : (لجلنار) لا تتكلمي أنت . (يستدير لزينة) أنت تنتظرين رجلا يستحق القتل .

زينة : فعلا انتظر رجلا يستحق القتل .

أبو الفضول : (متدفعا) ما منصبه ؟ ما ثروته ؟ ما حجمه وما رسمه ؟ ماذنبه؟ما علاقته؟... (متراجعا) هذه هي بعض الأسئلة التي كان من الممكن أن اسألك إياها لولا أني تبت وعاهدت الله . لاتجيبيني .اعطني لله ومشني يا ست . لم أستفتح بعد .

زينة : أيغير منصبه من الامر شيئا ؟ اذا ما كان وزيرا أو خفيرا ؟ ما الفرق ؟ الرجـــل الذى يستحق القتل يستحق القتل. لا يهم حجمه أو هيئته أو منزلته ...

أبو الفضول : (هازئا) ها ها .. يختلف الامر ياسيدتي . يختلف . اسأليني أنا . اسأليني . لاجناح عليك ولا ضرر فانت لم تعاهدى الله أن تكفي عن الأسئلة أو الفضول. (يضع الخرج على الأرض ويتربع عليه كمن يقبل على إلقاء درس)

جلنار : يامصيبتي ! سيقعد ؟

ابو الفضول : وما ضرك من ذلك وما شأنك . الارض التي تحمل الجبال والثقلاء ستنوء بحملي أنا ؟ اقاعد على خرجي. مالك انت ؟ (يلتفت الى زينه) إسألي رجلا مثلي عاقلا ولبيبا وحاذقا . إسألي وتعلمي . لاضرر ولا عتب عليك .

جلنار : انت العاقل اللبيب الحاذق ! اسمعوا هذا . انت لا تساوى درهما .

ابو الفضول : لا أساوى درهما ياجارية السوء ؟ مثلك لا يباع اهله وأخواله واعمامه واولاد اعمامه وبنات اخواله كلهم حزمة واحدة بفلس ، وتقول لا أساوى درهما . اخرسى انت ، فلولا أن سيدتك هى التى تسألنى ما كنت أهدرت حكمتى فى هذا البيت . .

زينة : أيغير منصب الرجل الذى يستحق القتل أو منزلته من جريمته ؟ قل لى كيف ؟

أبو الفضول : لا يغير يا سيدتى من جريمته . ولكن يغير فى طريقة قتله . فالغنى لا يقتل كالفقير ، ولا السيد كالعبد .

زينة : كيف اذن يكون قتل هذا ، وكيف يكون قتل ذاك ؟

ابو الفضول : (حذرا) هل خطر لك ان تؤجرينى على قتله ياسيدتى ؟

زينة . ألك قلب فى جوفك ؟

أبو الفضول : قلبان فى جوف . قلب لى وقلب علىّ .

جلنار : أنظرى الرجل وردوده ! إنكسف يارجل واتركنا لهمنا .

أبو الفضول : لن أسألك ماهمك وما خطبك . دعينى أكلم الست .

زينة : كيف جعل الله لكل منا قلبا واحدا ، وجعل لك قلبين فى جوفك ؟

أبو الفضول : ذلك أنى إن وجدت أحدا فى ورطة . . قلب يقول لى : لا تكون أبا الفضول ولا تسمى باسمك ان لم تنقذه من ورطته. هذا قلب على. وقلب يقول لى : يا أبا الفضول يكفيك ما نكبتك به مروءتك من نكبات. فقدت الرخص والرزق وصرت شحاذا بخرج. هذا قلب لى .

زينة : وأى قلب يغلبك ؟

أبو الفضول : عندما أرى دموعا تسح وأسمع أنينا معذبا أضعف، فيغلبنى الأول . . وعنـــد ما لا أرى دموعا تسح ولا أسمع أنينا معذباً . . يغلبنى الثانى.

زينة : (تنهمر دموعها فى الحال وتخبىء وجهها بيديها) وامصيبتى ! آه مما بى ! يا لى . . (تبكى بحرقه) يا من يغيثنى وينقذ عرضى ! واها لى ...

جلنار : سيدتى ! أثرت مواجعها الله يقطعك .

أبو الفضول : (كان قد قفز لدى بكاء زينة كالملدوغ وقلب البصر حواليه من تحت العصابة فى توجس وتوقع أذى) ماذا يوجعها ؟!. . لا لا . لا يجيبنى أحد على سؤالى (لنفسه) كمين يا أبا الفضول ! لا أريد أن أعرف . لا أريد أن . . أن .. (بارتفاع أنين وشهقات زينة يضعف صوته ،

ويرفع المصابة قليلا فيروعه منظر السيدة يهتز جسدها في حضن الجارية .لم ير وجهها تحت النقاب بعد . وهو يغالب أنينها الآسر المثير فيرد المصابة على عينيه . ويحكم وضع الخرق في أذنيه ، ومع ذلك يقول) . . سيدتي ! أين هو ومن وكيف ولماذا و ... آه ! لا . لا يجيبني أحد . استغفر الله فقد عاهدت الله .إعطني شيئاً ومشني ياست . .

زينة : وحش قرر أن يقتحم بيتي ليغتصب شرفي . ذئب فاسق سيهتك ستري غصباً وقهراً . ضرب موعداً الآن. سيطرق الباب ثلاث طرقات ثم يدخل . ذئب في ثياب رجل . الغياث الغياث !

أبو الفضول : (الآن يشحذ بجد . كيف هو مسكين !) اعطني شيئاً لله ومشني يا ست .

جلنار : هدئي روعك يا سيدتي . واحزناه . .

زينة : سأقتل نفسي . سأشوه وجهي وأمزق صدري . (لا بأس من أن تمزق ملابسها فعلا) .

جلنار : بعد الشر عنك يا زينة. يا إسما على مسمى . يا حلوة يا رشيقة القد . يا ذات الحسن والدلال ، وجبين كغرة الهلال ، وعيون كعيون الغزلان ، وخدود كشقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان ، ووجه كالبدر في التمام،وطلعة كطلعة الصبح على الخائف والولهان . .

(هذه القصيدة التى تقولها جلنار وهى تزفر الحسرات لا تلقى من أبى الفضول اذنا هامدة الشعور . انه يـدور فى الغرفة كالهارب ، ويتعثر . ولا ندرى أيرفع العصابة ليعثر بطريقه الى الباب ام ليتحقق من ادعاءات جلنار . القصد . لا يقع بصره على وجهها الدامع المحزون الا وقد سقطـ نقابه تماما فيراها لاول مرة منذدخل ، رؤية صحيحة واضحة ، فيشهق)

أبو الفضول : سبحان الله ولا إله إلا الله . هذا وقت المروءات !

زينة : أيرضى الله ؟ أيرضيك ؟ لم يعد فى العالم رجل عنده المروءة ليغيث امرأة ضائعة ، أو الشهامة ليتصدى لرجل فاسق . . آه !

جلنار : لنا الله يا سيدتى . لا تفعلى ذلك بنفسك .

زينة : وأكثر من هذا سأفعله . سأشوه وجهى . .

أبو الفضول : إنتظرى ياست . الله ! لا تحطى الدنيا فوق دماغى أنا . فما شأنى أنا . (يقلدها) « وأكثر من هـــذا سأفعله بنفـى » مالى أنا ؟ جئت أشحذ . اعطنى لله ومشنى يا ست . لم استفتح . إن شاء الله استفتح بجريمة قتل لله ، وإعدام لله ، وتحقيق وبهدلة وضرب وصفع وقلة قيمة لله . إمش يا أبا الفضول . إمش . لا شأن لك .

زينة : وا مصيبتاه .

أبو الفضول : (كيف يمشى ؟ انه يضعف) لعله نسى ولن يأتى . .

جلنار : نسى ؟ ! ثلاثة أشهر يطاردنا ويدبر لهذا الصباح الأسود . .

زينة : سيطرق الباب ثلاث طرقات . وعلينا نحن أن نهرّبه داخل البيت فى خشوع وسكون ! آه لك يازينه . .

أبو الفضول : لعله أن يكون رأى طيفاً أو ملاكا فى الليلة الماضية ، وزجره لا يأتى . .

زينة : الشيطان نفسه يخشى أن يتراءى له فى منام .

أبو الفضول : الله ! ألا نستطيع أن نكلمه ؟ نتوسل إليه ؟ نقبل قدميه ؟ أقبلهما أنا إن كنت تستكثرين . .

جلنار : الله يقطعه . لم ينفع معه كلامى ودموعى .

أبو الفضول : يا حفيظ ! شىء مخيف .

زينة : نخافه لأننا نساء . ولكن إذا كنت أنت . .

أبو الفضول : أنا ؟ ! ستجرجرنى من ذقنى كالأبله .

زينة : آه . أغضبته . لم أعد أعرف ما أقول . سامحنى .

أبو الفضول : تريد أن تغلبنى المرأة . ولكن هيه ! قلبى ثابت كالصخرة .

زينة : لا قلب لك . (برقة) لا قلب لك .

أبو الفضول : (ثائراً على نفسه) لا . فى الأولى جرحت القاضى وفقدت رخصة الحلاق . وفى الثانية فضحت بنته وفقدت رخصة الجمال . والثالثة ثابتة . لم تبق إلا روحى لتروح . فاسق فاسق . من أنا حتى أقف فى طريقه ... ذئباً كان أم رجلا ؟ أنا لا أؤجر للقتل . سفاح أنا ؟ ماذا أقول للمحكمة ؟ « من أنت وما شأنك وما دخلك حتى تقتل نفساً حرّم الله قتلها إلا بالحق ؟» ما أكون أنا ؟ ما أكون أنا ؟ لاشىء . مجرد فضولى أو سفاح بالأجرة . أيرضيك هذا أنت؟ لا لا ... إعطنى شيئاً ومشنى يا ست الله ينجيك .

زينة : أتسأل من أنت ؟

أبو الفضول : أأنا سألت شيئاً ؟ لم أسأل شيئاً البتة . أخاف غضب الله إن أنا سألت .

زينة : أتريد مسوّغا لحمايتى غير مجرد الشهامة والمروءة والرجولة ... أسوغ لك حمايتى .

أبو الفضول : تضحك على ذقنى المرأة .

زينة : لا أضحك عليك . تزوجنى واحمنى .

جلنار : يا خرابى ! موتك أهون عندى .

أبو الفضول : أتزوجك ؟ ! أنا ؟ ! تكلم من هـــذه المرأة؟
(ينظر حواليه)

زينة : لا أعجبك ؟

جلنار : يا خرابي ! تتزوجينه في دقيقة ولا تخلصين منه إلا بطلوع الروح . (للحلاق) يا نصاب . يا لص . يا مخادع .

أبو الفضول : (لجلنار) أنا يا امرأة ؟ (لزينة) أنا يا ست ؟

زينة : أنت . نعم أنت . تستكثر عليّ نفسك .

أبو الفضول : لا أصدق .

جلنار : هذا الجمال كله يا ربي ، مطمع الملوك والأمراء .... لهذا القرد ! يا خرابي !

أبو الفضول : قرد يابنت الأبالسة . لا أعجب الشمطاء . ولكن أسمع ما تقوله الست ..

زينة : هو أفضل منهم . وستعرفين مقامه إذا اقتحم رجل بيته ليغتصب زوجته . سترين عندئذ ..

أبو الفضول : اقتحم رجل بيتي؟ليغتصب زوجتي؟ . . ها! أنا فقير أنا. أنا رجل تافه أنا. أنا رجل حقير أنا. (يضرب رأسه بقبضته) لاأساوي درهما أنا . ولكن من يمس عرضي ، شرفي ، بيتي. .لا أراك الله . إني مصاص دماء إذن ـ سفاح بحق ..

زينة : هذا رجلي الذي أريد . زوجي .

أبو الفضول : أتقبلينني زوجا يا ست ؟

زينة : قبلتك .. زوجي وسيد بيتي . إيجـــاب وقبول وقد تم .

أبو الفضول : إنتظريني ساعة ؟

زينة : إلى أين ؟

أبو الفضول : أحضر شاهدين ونعقد العقد .

زينة : لا تتركني الآن . أنا خائفة .. فيما بعد .

أبو الفضول : الله ! لا زواج بلا شهود . .

زينة : لا تتركني . لا تذهب .

جلنار : دعيه يذهب لعل ضبعاً يفترسه .

أبو الفضول : الله . الشهود يا ست . زواج أولا زواج ؟ فهميني .

زينة : لا وقت . إحمني . سيأتي الآن . حالا . عرضك يا أبا الفضول..

أبو الفضول : تستفزني بشدة . عرفيني الحكاية من الأول ياست . (لنفسه) أين أنا ؟ كيف وقعت ؟ (لزينة) كيف شكله وهيئته ؟ ما طوله وما عرضه ؟

زينة : يكاد أن يتهاوى من اســـتبداد أهوائه بجسمه . متهافت ركيك التكوين ..

أبو الفضول : فهمت فهمت . لا شك أنه من أولئك الشبان الذين إذا رأى الواحد منهم وجهاً مليحاً غشي عليه .

جلنار : يخافه يا سيدتى أؤكد لك .

زينة : وإن كان يخافه فإن بينهما بابا . وما عليه إلا أن يشتمه من وراء الباب .

أبو الفضول : إه ؟ أشتمه من وراء الباب ؟ ! دعيني دعيني . . . لا تلمسيني . . سأريك كيف يكون الضرب والصفع والقتل . . بالحذاء وبالسكين ، كل في يد .

جلنار : (بهزء) يا خرابى .

أبو الفضول : لا اعجبها العجفاء . ولكن الست تستفزنى بشدة ، وقلبي يدفعنى إلى التهلكة .

زينة : أزجره يا أبا الفضول ساعة يطرق الباب . وفهمه أنك صاحب البيت ، فقد يفزعه صوتك ويفر . وكفى الله المؤمنين القتال .

أبو الفضول : أزجره من خلف الباب ؟ ! أنت لا تعرفيننى ياست . ولد . صبي غرّ . . رقيع كما تصفين . . هذا لا ينفع معه إلا السكين . هات (ينتزع السكين من يدها) .

زينة : لا لا . . لا أريدك أن تذهب به . أنه لا يساوى ظفرك . كلمه بحزم . عرفه أنك صاحب البيت ، فلعله يخافك ، ويفر . . الله يفضحه .

أبو الفضول : أخافه تقول الجارية . هه؟ (يلوح لهـا بالسكين)

جلنار : (تقفز فزعة) يا خرابى !

أبو الفضول : دمي يسخن . . أهو زواج بحق ؟ لا أكاد أعرف ما هذا البيت.. بيت طهارة أم بيت دعارة . الست جميلة جداً يا وعدي .. أنت لا تعرفينني حين أغار . دمي سخن . أغار حتى على القبيحة التي في البيت. لا تعرفين كيف أثور ، واندفع كالثور الهائج . .

أبو الفضول : (طرق على الباب) ادخلي يا امرأة . إلى الداخل . إلى الداخل .سأذبحه ذبح الشاة . ها ... (تدخل زينة وجلنار تتبعهامذعورة. تراقبان مايجري في البهو من خلف ستارة الغرفة الداخلية) يلوث بيتي ! (يفتح الباب بعنف ويرى أن القادم هو أمين سر محكمة بغداد. واذ لايخطر بباله أبدا ان هذا السملاق هو هو الصبي الغر الذي يتوقعه، فانه لا يخفي ارتياحه من وجود رجل العدالة في البيت إبان هذا المأزق . بل يسره ذلك جدا ، ويمعن في الثورة والصياح) جئت في وقتك ... لم أكن أتمنى إلا شاهداً أهلياً فأكرمني الله بشاهد رسمي . أمين سر محكمة بغداد سيكون شاهدي أمام القضاء . تقدم. (أمين المحكمة يتبعه بنظره وبقدميه مستغربا)

زينة : سيؤدبه .

جلنار : (تشهق) انظري كيف يخاطبه .

زينة : نظري في محله .

أبو الفضول : حمدا لله أنك سترى بعينيك هذه الفوضى . هذه العربدة بأعراض النـاس . حتى إذا مثلتُ أمام المحـكمة كنت أنت شاهدى وسندى . إذ أنى ياسيدى ، مع احترامى لرفعة مقامك ، قد أزمعت على بركة الله أن أذبح رجلا فاسقا ماجناقاطع طريق لص أعراض .. هنا الآن .

أمين السر : ألست أنت الحلاق الذى قهر القاضى وغلبه على أمـــــره ؟

أبو الفضول : لا وقت للتعارف الآن ياسيدى الأمين . أخشى أن نساق فى الأخذ والرد فتبرد نارى ، وأنا أريد أن أشعل ناراً الآن .. هنا .

أمين السر : ولماذا تريد أن تشعل النار هنا الآن ، إذا حق لى أن أعرف ؟

أبو الفضول : (يمر على منافذ البهو) من أين يأتى ؟ هل يجىء من الباب أم من الشباك ؟ هل يتسلل كفأر حقير وكلص دنىء ، أم يدخل من غفلته فى زهو وثقة ؟

أمين السر : من يكون ، إذا حق لى أن أسأل ؟

أبو الفضول : فاسق يريد أن يقتحم البيت ليغتصب صاحبته . ضرب موعدا لجريمته الآن .

أمين السر : (يكظم غيظه لأنه حائر بعض الشيء وغير مصدق) فاسق ؟!

أبو الفضول : هل قلت فاسق ؟ . . داعر !

أمين السر : (ترتفع حرارة غضبه قليلا . ولكنه لايزال حائرا غير مصدق) داعر ؟

أبو الفضول : مجرم رقيع . ذئب فى ثياب رجل . لص أعراض . هاتك الحرمات . كافر .

أمين السر : كافر ؟ هاتك الحرمات ؟ لص أعراض ؟ ذئب فى ثياب رجل ؟ مجرم رقيع ؟ (جانبا) أيكون هذا أنا ؟ !

أبو الفضول : وقد أزمعت على بركة الله أن أذبحه كالكلاب . ومهما يكن السلاح الذى يعتمد عليه فقد انتهت حياته ، وحسم الأمر . ولتكن شاهدى .

أمين السر : (غاضبا ولكنه لايزال يكذّب أذنيه) وهذا الرجل .. هل تعرفه ؟

أبو الفضول : يحق لك أن تغضب ياسيدى .. فمن ذا الذى لا يغضب. هذا الرجل سأعرفه حالا .

أمين السر : كيف ؟ . . إذا حق لى أن أسألك .

أبو الفضول : اعتمد على . فأنا خبير بهذا الصنف من الخبثاء . أميزهم برائحتهم النتنة .

أمين السر : (لا يزال غير متأكد تماما لأن الشتائم تروعه) أخشى أن تخطىء الرجل .. إذا حق لى أن أتكلم .

أبو الفضول : أخطئه؟! ليس من كان حاذقا لبيبا مثلى بالذى يخطىء فريسته . اعتمد علىّ . سأعيد عليك ماقالته الست .. سيأتى الآن من الباب ويطرقه ثلاث طرقات . . هكذا! (يطرق الباب . . فكأنما رنين الطرق هو الذى يوحى له بحقيقة الموقف . ولكنه من هول الصدمه لا يصدق ، فيطرق من جديد) هـ .. كذا .. (كالصيد اذ يكتشف أنه وقع فى الفخ ومع ذلك ينظر الى الأمين غير مصدق .. لا يريد أن يصدق . ويطرق من جديد كالمستغيث بسراب امـل ، ولا امـل) هـ .. كذ .. ذا . كيف وقعت بعد أن عاهدت الله يا أبا الفضول ؟ .

أمين السر : (يقلده) الداعر ! هه ؟ هل قلت الفاسق ؟ لص الأعراض ! ذئب فى ثياب رجل ! هه؟ الرقيع المجرم! هاتك الحرمات ! الكافر !

أبو الفضول : لست أنا الذى كان يكلمك ياسيدى .

أمين السر : من إذن أيها الحلاق الذى غلب قاضى بغداد على أمره ؟ من الذى كان يكلمنى ؟

أبو الفضول : نعم . أنا أيضاً أريد أن أعرف . من الذى كان يكلمك ؟

أمين السر : أنت إذن ، من دون الناس جميعاً ، جئت تحرسها !!
أنت ؟! (منادياً) يا من بالبيت !

زينة : (من الغرفة الداخلية) أواه .

جلنار : يخيبك رجل .

أبو الفضول : لا لا لا . أبداً . لست أنا من جاء يحرسها . أنت تتوهم ياسيدى . لعلك اثقلت فى الافطار . سيادتك .. سموك .. جلالتك تتوهم . لست أنا ..

أمين السر : يامن هنا ! ماشغلك فى هذا البيت ؟ هه ؟ لص ؟ هجام ؟ تواجدك فى بيت ليس بيتك ، وبيدك سلاح ، وأمارات الجريمة فى عينيك ولهجتك .. ماشغلك فى هذا البيت ؟ إذا كان لى أن أسأل .

أبو الفضول : (رمى السكين أبعد مايستطيع) خدام يا مولانا .. أمسح البلاط وأقشر البصل و ...

أمين السر : خدام . معك رخصة ؟

أبو الفضول : (يتظاهر بالبحث عنها لحظة ثم يلهيه عن سؤاله) نعم يامولانا . أقوم فى الصبح وآخذ البغل واشترى الحاجات من السوق وأحمله الحطب ولا اركبه أبداً .. فإذا ما عدت أوقد الفرن وأضع فيه الطبيخ . وبعد أن ألم البسط وأكنس وأمسح البلاط وأرد الفرش كما كان ، آخذ القمح وأغربله وأطحنه وأعجنه

وأخبز العيش والفطير ثم أملأ الفساقى ماء . وأعد القصعة بالارز وأسقيها بالعدس وأحشوها بالزفر ...

أمين السر : يامن بالبيت !

(تدخل زينه ومن خلفها جلنار مشفقه على سيدتها ومعقودة اللسان من الذعر ، بينما زينه قد قررت بعد خيبة أملها فى أبى الفضول ، أن تقف وقفة أخيرة دون الاستسلام)

زينة : علام تصرخ فى بيتى ؟

أمين السر : من هذا الرجل ؟ (يمسك ملابسه بكل قبضته) .

أبو الفضول : ... ثم أقدمها يا مولانا على السفرة مع سائر المشموم والنقل والشربات . . وبعد ما يفرغ السادة من الطعام أجمع الأطباق فى القصعة وسائر الأدوات والأكواب وأغسلها كلها بالماء والصابون غسلا جيدا وأردها فى مواضعها فى الدولاب . وأضع العلف للبغل ولا آكل حتى يفرغ البغل من غذائه . .

(إن ابا الفضول يواصل كلامة بغض النظر عما يجرى حوله من حوار بين زينه وأمين السر ، أجد لزاما على أن أزج به هنا ، على أن يكون موضعه فوق المنصة ما يكون ، لايهم) .

زينة : اترك الرجل من فورك . ألا ترى أنه صاحب البيت .

أمين السر : صاحب البيت؟!

أبو الفضول : .. وفى العصر أبخر البيت وأوقظ السادة وأعد المجلس فى الشرفة البحرية وأقدم الشاى بالسكر والفطير بعد أن أذب الذباب وأهوّى المطرح . .

زينة : نعم، هو زوجى كما أراد الله .

أمين السر : (يترك ثياب أبى الفضول مذهولا) زوجك ؟ !

أبو الفضول : (يقدم له ممسكا آخر من ثيابه فيمسكه أمين السر وهو لايزال ذاهلا) .. لا تصدق يا صاحب الجلالة لا تصدق . السيدة تهزل. ظريفة والله . . وبعد أن أجهز العشاء وأروّق المشروب وأعد المسكرات وما تيسر من الحلوى وأقدم الفاكهة ، أصب الماء على أيدى السادة وأجهز لهم المجلس وأرتب الحشيّات والوسائد، وأقف جاهزا لتلبية النداء . .

أمين السر : هل جرؤت على تحدّى مشيئتى بهذه الجسارة .. ليغارمنى فى فراشك هذا القرد . . هذا الهزؤة !

زينة : الله لم يحرم الزواج يا أمين سر المحكمة .

أبو الفضول : ياست حرام عليك . وقعت الجراح على الجراح . لم يعد فى جسدى موضع لا يدمى . . عاهدت الله وهذا جزاء النكث بالعهد . لله يا محسنين . حسنة للجائع المسكين تنفع فى يوم الدين . كنت أحلق ذقون الناس

فوقعت فى مصيبة . حملت أمتعة الناس فرزقت بنكبة . خرجت أشحذ فاستفتحت بداهية . .

زينة : (لأبى الفضول) يا جبان يامخادع . . تنكرنى الآن ، ولم تمض على اتفاقنا ساعة ..

أبو الفضول : الله لا يسيئك ياست . قولى كلمة طيبة فى حقى . أنا خلصت .

زينة : أتنكر حديث زواجنا ؟

أبو الفضول : من ؟ أنا . . ؟ حيلك ياست .

أمين السر . (يتدخل ليهدئ انفعال زينة خشية أن يصيبه رشاش من اندفاعها) رويدك ياسيدتى حصل خير . إحمدى الله أنى ادركتك ، فهذا الرجل خطير ، وعلى الله سلامة من يقع فى حبائله . الحكومة نفسها لم تخلص منه بحقها . ولكن سنخلص نحن إن شاء الله بحقنا منه . فإنى لست أنا قاضى بغداد . فاهم . لست كالقاضى أنا .

أبو الفضول : لا ياسيدى . لست كالقاضى أنت .

أمين السر : كل ما تسمعه منى تنفذه فى الحال ، وإلا أرميك فى بلية بحيث لا أرضا تقلك ولا سماء تظللك .

أبو الفضول : كل شئ تقوله حسن يامولاى .

أمين السر : هل قبلت أن تتزوج هذه المرأة ؟ أصدقنى .

أبو الفضول : لا ياسيدى.. لا لا . .

أمين السر : أترضى أن تتزوجها ؟

أبو الفضول : لا يا سيدى . لا لا .

أمين السر : أنا آمرك أن تتزوجها . ما قولك ؟

أبو الفضول : إه ؟ أتزوجها ؟

زينة : ماذا تقول ؟

أمين السر : تتزوجان . هذه أصوب فكرة . وقد كان لك فضل السبق إليها يا زينة بغداد . فليس أفضل من أن يكون فى بيتك رجل، فأدخل أنا حين أشاء زائرا لزوجك، حفظا للمظاهر . ولست أجد فى بغداد طولا وعرضا رجلا أوفق من هذا الحلاق ، ولا أوفى للشرط . .

جلنار : آه يا ستى .

أبو الفضول : أنا يا سيدى ؟ أنا أوفق وأوفى للشرط . سامحك الله ياسيدى ... لم ينفعنى الحذر من القدر .

أمين السر : أتعترض يا هزؤه ؟

أبو الفضول : لا لا لا . غير أنى يا صاحب الجلالة متزوج. وأخشى أن تتعقبنى زوجتى ، وهى امرأة لا خلاق لها ، فتفضحنا .

أمين السر : (هازئا) ماذا تريد ؟ نقودا ؟

أبو الفضول : لا لا . .

أمين السر : جهازا وأثاثا ؟

أبو الفضول : لا لا . .

أمين السر : وظيفة ؟ منصبا فى الدولة ؟ الله يخرب بيتك ماذا تريد ؟

أبو الفضول : (يحار) أريد أن أعرف ياسيدى ما الحكاية ؟ أجيبونى . عاهدت الله ولكنى غير قادر على الوفاء بالعهد . ما هى الحكاية ؟

أمين السر : لا شأن لك بالحكاية . ما شأنك ؟ حلاق !

زينة : إذن فاعلم أنى لن أتزوجه . لقد اختلف الموقف .

أمين السر : هذا ما فهمته بالضبط . كنت تحسبين أن هذا الهزؤه سيقف (أبو الفضول يزحف ويأخذ خرجه ويريد أن يتقدمن الباب فى غفلة من أمين المحكمة ولكن الأمين يلمحه) قف !.. سيقف .. قف ! قف ! ققق .. يخرب بيتك تعال هنا. (يعود) كنت تحسبين أن هذا الهزؤه سيقف فى طريقى. تكيدين لى ياخاسرة . أتحسبين أنى ممن توكل عقولهم بهذه الحيل الصبيانية ، أو ممن يبتلعون غضبهم ويكظمون غيظهم . لا . .

أبو الفضول : (مرددا) لا

أمين السر : (مواصلا كلامه لا يتوقف) دعينى إذن أعرّفك بنفسى. أنا ...أنا الحافظ عبد الحفيظ أمين سر محكمة بغداد.

يعرف أعدائى قبل أصدقائى صرامتى وطبعى الذى لا يلين . لا أريد شيئا إلا نلته .. لا أقبل عطية أو هدية ، وإنما آخذ ما يتراءى لى قوة واقتدارا . أستطيع أن شئت أن أكف أذاى عنك ، وإن شئت دمرتك .

زينة : لا أريد منك شيئا . لقد جئتك فى المحكمة من أجل القضية .

أمين السر : (يذهل لحظة ثم يضحك ، ثم ينفجر ضاحكا) آه . . تتكلم عن القضية .

أبو الفضول : ما هى القضية ؟

أمين السر : (هازئا) أية قضية ؟ !

زينة : لقد عرفتها بلا شك .

أمين السر : طبعا عرفتها ولخصتها ثم حفظتها وانتهى الأمر .

زينة : بأى حق تحفظها ولا تقدمها للقاضى ؟

أمين السر : أخاصم أنا شهبندر تجار بغداد ، أغنى أغنياء حاضرة الدولة ، جليس وأنيس الوزراء والأمراء والعظماء ، من يولى الولاة بكلمة ، ويعزلهم باشارة ، من يدعو الخليفة نفسه إلى مائدته ، ويغدق الهدايا على الوزير .. الرجل

العظيم، المجيد، الأبهة.. الرجل بحق.. أخاصمه أنا من أجل خاطر امرأة لا فى العير ولا فى النفير ؟!

أبو الفضول : (يداجى الأمين) أهذا يعقل ؟

أمين السر : هه . حتى هذا الأحمق لا يعقلها ؟ !

زينة : أنا التى ستخاصمه أم أنت ؟

أمين السر : (بزهو) آه.. ولكن من الذى سيقدم أو يحفظ القضية؟ ألست أنا ؟ من الذى سيحرك المتاعب أو يحبسها عن الشبندر ؟ ألست أنا ؟ فأنا إذن خصيمه ولكنك لا تفهمين، إذا لزم أن انبهك.. ومع ذلك، هل يستطيع هذا القوى الغنى العظيم الجبار أن يؤذيك أنت؟ أبداً. لأنك لا تملكين شيئاً . أما أنا ، فما أسهل أن يؤذينى، لأن عندى ما أخشى عليه ، وليس عندك ما تخشين عليه. وإضافة إلى ذلك. . هل يصدق أحمق أو مخبول أنك أنت يامن لست فى العير أو النفير تداينين شبندر بغداد بألف دينار..وأن الشبندر ينكرها عليك! كيف يعقل أن يتدانى الشبندر ويتصاغر إلى الحد الذى يسمح له أن يسرق منك ألف دينار؟ إذا حق لى أن أسأل.

زينة : هو سارقى بالفعل ، وليس من حقك وإنما من حق القاضى أن يفصل بينى وبينه :

أمين السر : قاضى من يا ست الناس ؟ أتظنين القاضى مجنوناً ؟
كل شىء بالعقل ينجلى سره . وقد انكشف ستر
دعواك الكيدية بالعقـــل والمنطق . . إذ أن
من عنده مال لايسرق من ليس عنده ، ولا يعقل
اتهامه بالتبديد والسرقة . أما لو كنت اتهمت رجلا . .
كهذا (كـأبى الفضول) بسرقة درهم واحد . . عندئذ
تكون السرقة وتكون القضية ، وتتخذ الاجراءات
على عجل ، وتقام الدعوى . . وأنشط وينشط غيرى
لرد مالك إليك . سلمناه للشرطة التى استطاعت أن
تقنعه بالاعتراف . والاعتراف سيد الأدلة ، إذا كنت
لا تعرفين . قضية بسيطة وواضحة . ومع أن القاضى
نظرها فى دقيقة ، وأصدر الحكم فقرأته أنا على الملأ
وانتهى موضوع القضية ، فإننى لا أدعها تمر هكذا . .
بل أخطب ساعة مضنية ، لأنه ما دامت المحاكمات
علنية ، والناس تحضرها ، تقع على عاتقى مسئولية
تحذير ووعظ البهائم التى لا تبارح قاعة المحكمة أبداً إذ
أنها عاطلة عن كل عمل ، وأظهر لهم سطوة القانون
لأردعهم ، وأقول كلاما فصـــيحاً ومحكماً وفى
الصميم . . لتأديبهم ووقفهم عند حـــد القانون .

هذه هى شغلتى ، وهى مرهقة كما ترين . إذا حق لى أن أشكو .

أبو الفضول : كان الله فى العون .

زينة : أنسرق هكذا علانية . أيكون المنطق والعقل وظواهر الأمور مجرد أعوان فى عصابة الشبندر . ماذا جرى للدنيا ؟

جلنار : لنا رب عادل . وأنت ياسيدى إرحم شباب الست . قدم لها معروفا . كلمة منك للقاضى ..

أبو الفضول : نعم . أنت يا سيد الناس كلك نظر . وبرضاك لو تجد للست حلا . .

أمين السر : (باللهجة الذى يليق بنطق حاسم) هذه القضية لا شيء ، وحجتك فيها لا تقبل للنظر إلا بشهادة شاهدين عدلين .. لايكون أحدهما هزؤة كهذا الرجل .

زينة : ألا ينفع القسم ؟ ألا تنفع شهادة جاريتى ؟

أبو الفضول : نعم ألا تنفع حيلة من الحيل ؟

زينة : لماذا لم تقل لى ذلك من أول الأمر ؟ لماذا تركتنى فى وهمى إلى هذه الساعة ؟

أمين السر : آه .. جئنا للجد، وما كنا ننتظر منذ ساعة . (يرق لهجته) عند مادخلت مكتبى أول الأمر وعرضت على القضية

أبو الفضول : دعني أرى .. (يحاول تعقبها فيمسك أمين السر به)

أمين السر : إياك والخداع ؟

أبو الفضول : سيدى .

أمين السر : أنظر ماذا تفعلان وجئني بالخبر من فورك .

أبو الفضول : (ينتقل إلى الغرفة الداخلية وما أن يدخلها حتى يتنفس الصعداء) ياه .. ياه .. أف ..

جلنار : ماذا تريد هنا ؟

أبو الفضول : أرتاح يا ست أرتاح . آخذ نفسى . الله ! إستفتاحى زفت .

جلنار : تشكو .. بعد كل الذى فعلت ؟

أبو الفضول : فعلت ؟ أنا ؟ اللهم عفوك .

زينة : ألا خلاص لنا منه ؟ ..

أبو الفضول : كان الله فى عونك يا ست .

زينة : خذلتنى خذلك الله .

أبو الفضول : أنا ؟ ! الله يسامحك . ترميننى فى داهية، وأنا رجل كلى جراح، ثم تقولين إعرف خلاصك . والله كنت معك صادق القلب . ولكنى لست ندا له . .

زينة : لماذا لم تقل هذا من الأول ؟

أبو الفضول : الله ! أنا عرفت حاجة من الأول ؟ انت قلت شاب عايق وسخنت دمى بشدة ، فإذا أنا أمام أى

يازينة الناس ذاب قلبي لك. قلت امرأة مسكينة أوجدتها الحاجة ، فتنكبت سوء السبيل . إنقذها يا الحافظ . .

أبو الفضول : كلك خير . . إنقذها يا الحافظ.

أمين السر : إنشلها يا الحافظ .

أبو الفضول : يا منجي . إنشلها يا الحافظ . .

أمين السر : عيناك أسرتاني ، إذا حق لي أن أعترف . وجهك أضاء روحي وزلزل قلبي . وإن لوجهك يا آسرتي صورة أرفعها عن المشاكلة ، ولا يجمل بمثلك الخصومة . أنا . . أنا الحافظ للعهد . إن تكرمت علي وقبلت عهدي ، أشتري خصومتك بألف . . بخمسمائة . . ما تقولين . إن أنت نزلت عند مسرتي وطابت نفسي منك .

زينة : لا فائدة . . لا شيء يستر المرء بعد زوال ماله . . آه .

أمين السر : بالك المتعب أريحه . . قلبك المستوحش أؤنسه . . أنا . . أنا أعجبك . . (يحاول الامساك بيدها وهو مضطرب جدا)

زينة : دعني . دعني . (تنفلت الى الغرفة الداخلية وتتكفيء على الأريكة باكية)

جلنار : (تتبعها) سلامتك يا سيدتي .

أمين السر : لم ذهبت وأين ذهبت وماذا أفعل الآن ؟

شيء ؟ .. أهذا شاب؟ هذا رخ ياست! هذا هو التنين الأسود ! خدعتي وأوقعتني في حكاية ما عرفت أولها من آخرها . . ثم دخلنا في القضية . ما هذه القضية؟ وحكاية ألف دينار ، وشهود ومالا أدري ولا أعرف.

زينة : ستتزوجني اذن وتدعوه للعشاء كل مساء . .

أبو الفضول : الله ! سأرفض .

زينة : (ساخرة) لماذا ترفض؟ لعله يجري عليك راتبا شهريا.

أبو الفضول : ستعود تسخن دمي.

زينة : قل له إذن . قل له بشجاعة : أنا أرفض .

أبو الفضول : سأقول له . (يهم بالدخول الى البهو)

أمين السر : (من البهو) ياحلاق !

أبو الفضول : (يتردد) دقيقة ياسيدى . (ثم يعود للغرفة الداخلية) يا حفيظ ! تقولين أن الشبندر يطارحك الغرام ؟

زينة : لم يمنع عني مالي إلا لينالني .

أبو الفضول : إذن ابعثي جاريتك إليه ليأتيك حالا بأي حجة ، فهو يخاف الشبندر إلى حد الموت ، فإن جاءنا الشبندر خلصنا منه .

زينة : نخلص من مصيبة لنقع في مصيبة .

أبو الفضول : لعل الثاني يكون أسلس قيادا من هذا الداهية .

زينة : اذهبي يا جلنار . اذهبي .

أبو الفضول : . . آه . من الشباك يابت .

جلنار : يا خرابى ! أقع أموت .

أبو الفضول : عمر الشق بقى. (يدليها من الشباك بينما تخرج زينه من الباب الموصل الى داخل البيت)

أمين السر : ياحلاق.

أبو الفضول : (يدخل البهو) إبتعد عن الشباك ياسيدى .

أمين السر : لم ؟ ما الخبر ؟

أبو الفضول : الناس تتجمع فى الطريق .

أمين السر : (مبتعدا) الناس تتجمع ؟ لأى شيء ؟

أبو الفضول : لا أدرى. لعله موكب الخليفة، ونحن فى الطابق الأرضى . .

أمين السر : (منزعجا) أيمكن أن ترانا الناس من الطريق؟

أبو الفضول : أنا أرى الناس فلعلهم يروننا .

أمين السر : الستار يا مغفل. (أبو الفضول يرخى الستار . الجو يعتم. ولكن أمين السر يهدأ) لماذا لم تأت السيدة ؟

أبو الفضول : لأن هذا الأمر وأنت سيد العارفين لا يحتاج العجلة، وإنما يستحب فيه التأنى والاتقان والدعة والرخاوة.

أمين السر : والله تبدو فى عينى ولداً حاذقاً ومدرباً على هذه الامور . . هيه . أأنت كذلك ؟

أبو الفضول : أنا ؟ أنا أعجبك . . قرد مسلسل .

أمين السر : هه هه هه . أنا أيضاً مثلك أحب الضحك .

أبو الفضول : سأضحكك يا سيدى . من القلب .

أمين السر : يخرب بيتك .. إضحكنى يا ولد فأنا أحب الضحك .

أبو الفضول : ما رأيك يا سيدى فى سيدتى زينة ترفل فى ثوب فضفاض من الحرير الأحمر الفاتح ، يبدى ولا يخفى ، مهتوك الصدر ململم الوسط ، وقد أرسلت شعرها وفرقته ولمعته حتى لتبرق انحناءاته برقاوتشع اشعاعا، ودهنته بالعطر الفواح ، وانتعلت نعلا من الحرير الناعم ، وحزمت وسطها بحزام رفيع من التيل الأخضر ، وخطرت كذلك إلى مجلسك ، وقعدت جنبك باسمة متطلعة تنتظر أوامرك ..

أمين السر : يابن إبليس . لقد زلزلتنى بعنف . طاش صوابى ولم أعد أدرى أين أنا ..

أبو الفضول : ثم ما رأيك يا سيدى فى مائدة تمد بين أيديكما عليها كل أصناف الشواء والمحمر والمسلوق والمتبل ، وتلا من الأرز الغارق فى السمن ، قد أخفيت فى جوفه بحذق عشر حمامات سمينة ، وفخذ الضأن المشوى والمسوّى بدهنه ودسمه فوق النار الهادئة ، وما حول ذلك وبينه من خضار مسبك وسلطات مشكلة، ثم ما يلى هذا وذاك من الفاكهة من كل صنف، بضة ونضرة ، والحلوى من الفالوذج والمشبك

والمعقود ، والمهلبية . . كلها خلطت بأصناف النُقل والزبيب . . ويلي ذلك الكنافة ، والهريسة السابحة في العسل الحر . ثم بعدها النقل بأصنافه والمشموم والشراب المسكّر . كل ذلك في جو عبقه البخور ، وعلى أرض كنست جيداً ورشت بماء معطر . .

أمين السر : الله يلعنك . سال لعابي وتضورت معدتي وغشيتني لذة دغدغت أعصابي . لم أعد أحكم شهوتي . هاتها كلها في الحال .

أبو الفضول : (يغافل الأمين ليتطلع بعينيه من الشباك وقد استبطأ الشبندر) مهلا . فهذه الأمور تحب التأني والاتقان ، والدخول إليها في تؤدة ورخاوة ودعة ..

أمين السر : لن أدعك تترك خدمتي ما حييت . أن لك لكل شيء وصفاً . الله يقطعك قطعت أنفاسي « بتؤدة » . . وماذا بعد ؟

أبو الفضول : قبل ذلك لا بعده .. ما رأيك يا سيدي في حمام منعش ، أوله بخار ساخن يفك عقد العضل ، ويريح العصب ، ويذيب الجهد والتعب ، وثانيه ماء ساخن يغسل الارهاق والهموم ويبعث الحياة في عصب المرح وفي شهوة الطرب ، وثالثه التدليك المريح اللذيذ في اتجاه نسيج الجسم بيد خبيرة حاذقة .. ثم يلي

ذلك دعك الجسم كله بدهان معطر لذيذ يطيش عقول الصبايا ، عندى سر خلطته العجيبة المدهشة ، وبعده نذر المسحوق الناعم اللذيذ على الجسم حتى يبرد وتترفق الملابس به كما يلامس الحرير الحرير..

أمين السر : لعن الله شيطانك . أسرع أسرع !

أبو الفضول : عمامتك وجبتك وسائر هذه الأشياء ودونك الحمام فلا تضيع وقتاً ..

أمين السر : (يخلع ملابسه الا أقلها وأبو الفضول يبعثرها . . طرق على الباب . الأمين يختبيء بحركة غريزية خلف الأريكة وقد لم ملابسه كيفما اتفق . بينما أبو الفضول قد فتح الباب من فوره فدخلت جلنار ثم أغلقت الباب وراءها) .

جلنار : الشبندر .

أمين السر : (شبه عار . يكاد يغشى عليه) ماذا قلت ؟

أبو الفضول : ماذا يريد الفاسق ! سنقبض عليه ياسيدى .

أمين السر : مصيبة. أين أذهب ؟

جلنار : (وقد فاجأها منظر أمين السر شبه عار) يامصيبتى !

أبو الفضول : دعه لى . فمهما كانت ثروته .. إنى أنا الزوج ، وأنت صديق الأسرة ، ولا حق له علينا .

أمين السر : خبئنى إعمل معروف .. أعندكم غرفة ؟

جلنار : لعله لا يفتش البيت فهو مجنون بسيدتى . (تخرج من الباب الموصل لداخل البيت)

أبو الفضول : وأنا أجن منه . سترى ياسيدى كيف أطرده شر طرد .

أمين السر : خلصونى يا أوغاد .

أبو الفضول : الله ! سيدى . تريد أن ترحل ؟

أمين السر : فى الحال .

أبو الفضول : الباب ..

أمين السر : هو على الباب .

أبو الفضول : الشباك ..

أمين السر : الناس فى الطريق . خلصنى .

أبو الفضول : الدولاب .

أمين السر : أخشى إن تحركت قيد شعرة أن يطقطق .

أبو الفضول : خلف الستار .

أمين السر : إن تنفست يهتز . ما هذا؟ (يقلب خرج أبو الفضول)

أبو الفضول : لا ياسيدى هذا خرجى .

أمين السر : لا ينفع إلاه ... إسمع يا حلاق . لا سبيل للخروج من البيت إلا بحيلة . سأدخل الخرج ، وعليك أن تحملنى خارج الباب .

جلنار : الله! أنت يا رجل! سأدعو سيدتى. (تخرج عن طريق الغرفة الداخلية)

الشبندر : (جانبا) الصفيق لا يعرفنى بالتأكيد. أحسن. سأعرف أنا هويته. (لأبى الفضول) تحزم متاعك؟

أبو الفضول : نعم.. مسافر إلى حال سبيلى. ما بقيت لنا إقامة فى بغداد.

الشبندر : أحسن. فى السفر خمس فوائد.

أبو الفضول : طلبته لفائدة واحدة.

الشبندر : (جانبا) ثرثار.. سأكشف أمره فى دقيقة. (لأبى الفضول) وما هى؟

أبو الفضول : الفرار من وجه الأغنياء.

الشبندر : (جانبا) لا يعرفنى بالتأكيد. (لأبى الفضول) لم؟ هل آذاك أحد؟

أبو الفضول : سيدى. إسألنى: هل سلم من أذيتهم أحد.. فذلك أدعى لإرضاء المناطقة، كما يقولون.

الشبندر : (جانبا) متحذلق أيضاً.. سأعرف هويته فى لحظة. (لأبى الفضول) لا يؤخذ رجل إلا بذنبه. أنا أعرف ذلك.

أبو الفضول : وذنبي كبير ياسيد . ذنبي عظيم . جريمة خطيرة تهون جنبها جرائم القتل العمد والسرقة والاغتصاب .

الشبندر : (يضطرب) ياه! ما أنت ؟ ما جريمتك ؟

أبو الفضول : الفقر .. الفقر أجارك الله .

الشبندر : (يتطامن قليلا) أيكون الفقر جريمة ؟ شيء لم أسمع به من قبل .

أبو الفضول : لم تسمع به من قبل ؟ لم ؟ أين كنت ؟ أكنت أصم وشفيت اليوم ؟ أقادم أنت من أعلى الجبل ؟ ناسك أنت من هؤلاء المخبولين القاطنين المغارات البعيدة ؟

الشبندر : (مقاطعا) لا لست إلا . . أقصد لست قادما من أى مكان ، بل أنا . . (مستدركا جانبا) لن أكشف له هويتى . (لأبى الفضول) أنا لا أعرف عم تتكلم .

أبو الفضول : (فرغ من حياكة فتحة الخرج ونهض متقدما نحو الشبندر) سأشرح لك .

الشبندر : مكانك! مكا . . . نك! تكلم حيث أنت .

أبو الفضول : الله ! على مهلك ياسيد . أتخاف أن أعضك .

الشبندر : لا أعرف. الدنيا ظلام .

أبو الفضول : أترى الغرفة مظلمة ؟ أنها ليست مظلمة. ولكن قلبك ثقيل ، وهو الذى . .

أبو الفضول : ماذا تقول يا سيدى ؟

أمين السر : أبا الفضول. لا سبيل إلا هذا . أطعنى .

أبو الفضول : سيدى. أنا رجل ضعيف . كيف أحملك ؟

أمين السر : جرجرنى على الأرض. (يدخل دماغه فى الخرج لا رجليه) تجاوز بى عتبة الباب لا أكثر .

أبو الفضول : قد يسألنى ماذا فى الخرج .

امين السر : ياولد أنت كثير الحيل، لا تعاندنى. (طرق على الباب يختبىء أمين السر تماما فى الخرج ، الطرق يتتابع)

جلنار : (تعود إلى البهو تنظر حواليها) أين ذهب ؟

أبو الفضول : خرج .

(جلنار تفتح الباب، يدخل الشبندر ثائرا قليلا)

الشبندر : ساعة وأنا أطرق !! (عيناه تفاجآن بالظلام فيتوقف عند الباب برهة ، بينما تتجاوزه جلنار . . هو رجل حذر جدا ومدقق ، ولا يزال غير واثق تماما من سر استدعائه على عجل ، وإن كانت رغبته فى زينة تغلبه على شكه . جانبا) رجل غريب فى الدار ؟ كمين ؟ إن كانت مكيدة فسأفسدها . سأنظر أولا من يكون. (يوجه الخطاب لأبى الفضول) من هنا ؟

أبو الفضول : (يحيك فتحة الخرج بهمة عالية ولا يكاد يرفع بصره) من هناك ؟

جلنار : تفضل ياسيد الناس. أنت غريب ؟

الشبندر : (لا يبرح موقفة قرب الباب) أسالك أنا لا تسألنى أنت .

أبو الفضول : حبا وكرامة . . إسألنى ما شئت . أما أنا فعاهدت الله لا أسأل شيئا .

الشبندر : (واقفا مكانه) ماذا تفعل هنا .

أبو الفضول : ألا ترى بعينيك ؟ أحزم متاعى. حيا الله من فى وجهه نظر .

الشبندر : جيبي ثقيل ؟ عنى ! عنى !

أبو الفضول : أنظر إلى الرجل كيف يفزع !

الشبندر : (منزعجا أكثر) تكلم من ؟ معك أحد ؟

أبو الفضول : (يتقدم نحوه خطوة) أكلم نفسى ياسيد .

الشبندر : مكانك! مكا . . نك! (يتراجع خطوة نحو الباب)

أبو الفضول : أعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الشبندر : لا تؤاخذنى . . سرقت بالأمس فقط ولا يلدغ المؤمن مرتين .

أبو الفضول : كان الله فى العون ، راح منك كثير ؟

الشبندر : القليل على القليل كثير ..

أبو الفضول : عذر مقبول .

الشبندر : لا أقصد بالطبع أن أتهمك ،ولكن الشيطان شاطر. الدنيا ظلام ، ورجل ساخط مثلك قد يضعف . . يعنى لا مؤاخذة .حرّس . . يعنى ، ولا تخوّن.

أبو الفضول : سبحانك يارب .

الشبندر : نعم .. أذكر الله بدلا من أن تتحدث عن الذنوب. والفقر حديثا . . يعنى الله يهديك .

أبو الفضول : (يتقدم إليه خطوة وقد زاد انفعاله) ألا تحب السرقة. ياسيد ؟

الشبندر : (يفزع) مكانك ! يا من بالبيت !

أبو الفضول : الواحد منا أن يسرق منك دينارا يصبح مجرما خطيرا. أما إن سرقت منك ألف دينار فقد أصبح بربحها شبندر التجار .

الشبندر : (مرتاعا) ماذا تقول ؟ هجام أنت ؟

أبو الفضول : نعم، وقد سرقت هذا البيت . فإذا سمحت تحرك إلى الناحيةالأخرى، لأنى أطلب الباب . (يحاول عبثا أن يحمل الخرج الثقيل) .

الشبندر : (خائفا ومترددا جدا) إنتظر دقيقة . مكا . . نك . أتعرف السيدة أنك خارج ؟ ماذا تحمل فى هـــذا الخرج ؟ أين ذهبت الجارية الملعونة ؟ يا من بالبيت ؟ ياهوه .. الدنيا ظلام ؟

أبو الفضول : وسّع السكة !

الشبندر : (يكاد يستغيث) دقيقة واحدة. إفتح الشباك. سأختنق. يا هوه ! إبتعد عنى . . (تدخل زينة. تبدو أقل اضطرابا وانفعالا مما كانت أمام الحافظ ، فهذا الشبندر الحذر ليس كالغول المندفع الآخر . دخلت إلى البهو بخطوة ثابتة متدللة، تتبعها جلنار إن صراخ الشبندر أدهش زينة بعض الشيء ، ولكن أثره أوضح على جاريتها)

زينة : ماذا دهى زائرنا العظيم ؟

الشبندر : (إستقام عوده بدخولها ، وتدفق صوته من جديد) إفتحى الشباك ياجلنار . إفتحى الشباك .

زينة : أزيحى الستائر ووار بيه فقط ، فالناس تتجمع فى الطريق . ماذا يجرى هنا ؟

الشبندر : من يكون هذا الرجل ؟

زينة : أنه خادمى .

الشبندر : خادمك ؟

زينة : نعم . . يقوم فى الصبح ويأخذ البغل ويشترى الحاجات من السوق ويحمّله الحطب ولا يركبه أبدا. فإذا ماعاد يوقد الفرن ويضع فيه الطبيخ ، وبعد أن يلم البسط ويكنس ويمسح البلاط ويرد الفرش كما كان يأخذ القمح ويغربله ويطحنه ويعجنه ويخبز العيش والفطير . قل له يا أبا الفضول فأنت أقدر...

الشبندر : (لأبى الفضول) لعنة الله عليك! خدام..وتسرق البيت الذى تأكل منه خبزك ؟! أنظرى مايحمل فى خرجه.

جلنار : يامصيبتى! (لم تفتح الستائر بعد)

الشبندر : قلت لك .

أبو الفضول : جن الرجل والله .

الشبندر : (منزعجا رغم كل شيء) تكلم من ؟ معك أحد ؟

زينة : أرنى ماذا فى الخرج ؟

جلنار : لا تقتربى منه ياسيدتى .

زينة : أزيحى الستائر كما قلت لك، وواربى الشباك. (جلنار تفعل) أرنى ما أخذت فى خرجك .

أبو الفضول : الأشياء التى لا تريدينها ياست .. الله! نسيت؟ الزبالة التى .. اللهم اجعل كلامى خفيفا .

زينة : (تندهش وتنزعج) ماذا؟ وضعته... وضعتها فى الخرج؟

الشبندر : ألم أقل لك ؟ فى الأمر شىء .

أبو الفضول : الله! (يقلدها) «خلصنى يا أبا الفضول». ها أنا خلصتك ياست الناس. وسع السكة ! (يحاول عبثا رفع الخرج)

زينة : أين أنت ذاهب بها ؟

أبو الفضول : الله ! الأسئلة! مالك أنت ياست . سأرضى فضولك. (يكظم غيظه) سأتجاوز بها عتبة الباب ، ثم أزلقها خارج البيت . أما من أسئلة أخرى ؟

زينة : لا يحق لك . أأنت تملكها ؟ دعها لى . أنا أريدها . لا يحق لك أن تتصرف فيها دون إذنى .

جلنار : (لم تفهم) أغلقت الشباك وسرقت البيت يامنيل ؟

الشبندر : لص ما فى ذلك شك. سيبيت فى السجن إن شاء الله .

أبو الفضول : كيف أدعها لك ياست . أما قلت لى أرحنى منها ؟

زينة : لا يحق لك أن تأخذها .

الشبندر : نعم . فالزبالة من حق صاحب البيت . فلا يعدم المرء أن يجد بها قطعة دراهم ، أو صرة فيها نفقة ، أو دينار ، أو قطعة حلى كانت ضائعة . .

جلنار : ضاع لى قرط منذ شهر . لعله أن يكون عثر به .

الشبندر : أما ما فيها من الصوف فيطلبه صناع البراذع بالثمن . والخرق وسائر القماش والورق تشتريه معامل الورق . أما قشور الرمان فللصباغين والدباغين . . والزجاج المهشم والقوارير وما إليها فللزجاجين . والمسامير وقطع الحديد للحدادين . . وغير ذلك يصلح للوقود . وما بقى فى النهاية من تراب يضرب منه اللبن الذى يصلح للبناء . وكل شىء بثمنه .

أبو الفضول : إيه . . حيلك يا سيد ! لقد كونت ثروة من زبالة بيت واحد !

زينة : دعها مكانها قلت لك .

أبو الفضول . (جانبا) لا أدعه لك تفضحينه . الله ! سيقتلنى أنا . لابد أن أنجيه . يستطيع أن يقتلنى .

زينة : (جانبا) أبا الفضول . هذا شاهد سيشهد ما يجرى

بيني وبين الشبندر . دعه لي . (بصوت مرتفع) لا حق لك فيما ليس ملكك .

أبو الفضول : الخرج ؟ أليس الخرج ملكي ؟

زينة : دع الخرج هنا . ما قيمته ؟

أبو الفضول : لا أدع الخرج . أنا قتيل الخرج.. الله ! وسع السكة .
(يحاول حمله عبثا)

الشبندر : مكانك . .

زينة : قف .

جلنار : حرامي ! . .

أبو الفضول : الله! الناس جنت في هذا البيت. (للخادمة) ماذا تريدين أنت؟ (للسيدة) ماذا تريدين؟ (للشبندر) ماذا تريد أنت؟

الشبندر : لا تقترب مني .

زينة : لن أدعك تخرج بحملك. أتسمع. ليس من حقك. وإذا لم تدعن سأصرخ وأدعو الشرطة. لا يضيرني شيء . .

أبو الفضول : ستقع على دماغي أنا . يا ست اتق الله . خلصتك خلصيني. (جانبا) سيكون القتل نصيبي أنا . شاهد إيه ؟ . .

زينة : أدخل المطبخ واصنع شراباً للشبندر . خذيه إلى المطبخ يا جلنار .

الشبندر : نعم . نعم . أدخل إلى المطبخ .

أبو الفضول : أدخل أين ؟ إعطنى حبلا أو أى شىء أرفعه به يابنت.

جلنار : سرق البيت والله .. سرق البيت ونحن لاهون عنه. قلت لك أنه لص . ماذا فى خرجك ؟ دعنى أر . .

أبو الفضول : إبتعدى يا حيزبون . . والله أذبحك بالسكين . إلى الداخل أنت .

جلنار : يا خرابى! (تجرى الى الغرفة الداخلية وترقب البهو من وراء الستار فى فزع)

أبو الفضول : إعطنى حبلا يا بنت .

الشبندر : (لأبى الفضول) يا ولد خلك طيب ، وخلصنا . فما جلسنا مع الست بعد .

زينة : إجعله يبقى يا سيدى . إجعله يبقى . . لعلى أسأت إليه دون أن أدرى ، ولن أرتاح حتى أجبر خاطره .

الشبندر : لا تتأثرى إلى هذا الحد . سأبقيه لك . إسمع ياهذا .

أبو الفضول : أسكت يا ذاك .

الشبندر : سفيه ! اف . لا أطيقه. ماذا أفعل معه؟ خذ درهمين.

أبو الفضول : درهمين ؟! إستأجر بهما قاربا وتنزه فى دجله . الهواء منعش. (يزعق) حبل يا بنت. (يتجه للغرفة الداخلية فتخرج

جلنار فزعة وهو وراءها مازال يصرخ طالبا حبلا)

الشبندر : أريد أن أبقيه لك ، ولو دفعت فى سبيل ذلك مالا . ولكنه (يتأكد من بعده) مجرم سليط ، أف ! أى بلية رمته أمامى .

زينة : يقطعنى ! .. أأنا دعوتك لأعكر دمك؟ تعال . إجلس هنا. عصير ليمون يا جلنار .

الشبندر : لا تقلق على . مهنتى علمتنى أن أغضب على مهل وأصفو على عجل .. والحقيقة أنى اليوم أصفى ما أكون إذ ثاب إليك رشدك . إعلمى يا قرة عينى أنى لن أبخل عليك بخادم نشيط، ولو دفعت فى سبيل ذلك مالا . فكم يسرنى أن أصنع شيئا يرضيك .

زينة : أشكر لك كرمك ياسيدى. لقد ضعفت لك، فأرحم ضعفى . . ماذا تفعل سيدة وحيدة فى هـــذا العالم القاسى ا كم كان يطيب لى أن أبادلك جميلا بجميل ، وودا بود . . لولا أنك آلمتنا وأغلظت القول لنا ذلك اليوم .

الشبندر : تظلميننى يا قرة عينى .

زينة : قلت لنفسى : أرسل إليه جلنار ، فلعله أن يكون أصفى نفسا مما كان فى ذلك اليوم .

الشبندر : فطرت ملبيا دعوتك ، شوقا وحنينا لقربك .

زينة : ولكنك أنت دائما أنت.. الزائر الجانى والصاحب الظالم.

الشبندر : بودى لو كنت فى قربك مظلوما ، وفى عشقك مجنيا عليـــه .

زينة : وأنا بودى لو أطمئن لصدق عواطفك وأخلص من شكى وريبتى فيك .

الشبندر : أأنا محل شكك وريبتك ؟

زينة : قلبي يقول لى : يازينة . . إن كان يكذبك فى ألف دينار فكيف تأمنين إليه فى شأن سعادتك ووفائه لك .

الشبندر : آه عدنا لهذه الحكاية .

زينة : كيف أضمن أن أنا واصلتك كما تريد ، وأسلمتك نفسى الساعة ، ألا تنكرنى وتنبذنى بعد يوم ؟

الشبندر : أعطيك عهدا بنفقة .

زينة : عهدا ؟ !

الشبندر : أعطيك الآن بعض المال . .

زينة : هلا نقدتنى مالى عربونا للوفاق ، أو تعهدت لى بردّه فى فرصة قريبة . .

الشبندر : (يتلفت حواليه) احم . . احم (يقترب من الستار) أى مال ياست الناس ؟

زينة : أعلم أنه يشق عليك بعد أن أنكرت أمام التجار

والشهود أن تعود فتعترف بأن لى عندك مالا .
ولكن إجعل خاطرى يستريح، واشهد الله أمامى أن
ترده لى فى فرصة قريبة .

الشبندر : (يبحث حواليه) احم. احم . تزعمين أن لك عندى
ألف دينار ، فهل لك فى عهد أمام الله بخمسة دنانير
نفقة موصولة ، فى ستر ورفق .

زينة : كل ما تعدنى به كوم ، ومالى أنا كوم . اشهد الله
أنك ترده لى .. ثم تنفق علىّ ما تريد، وأتبع رأيك ،
وأكون أطوع لك من يدك .

الشبندر : أبعد أن نحسم هذا الأمر الذى اختلفنا عليه، تقبلين
سكنى قصرى الأخضر الذى وصفت لك فى أطراف
بغداد ؟

زينة : أقبل سكنى بيتك الأخضر فى أطراف بغداد .

الشبندر : وتستقبلينى فيما اتفقنا عليه من أيام الأسبوع ؟

زينة : وأستقبلك فيما قر رأيك عليه من أيام الأسبوع .

الشبندر : ولا تغادرينه إلا بإذنى ؟

زينة : ولا أغادره إلا بإذنك .

الشبندر : ونسهر تلك الأيام معا، نسمر ونغنى ونمرح حتى الصباح؟

زينة : ونسهر تلك الأيام معا، نسمر ونغنى ونمرح حتى الصباح.

(يدخل أبو الفضول من خلال الغرفة الداخلية ومعه حبل)

الشبندر : (ظهره لأبى الفضول) احم احم. أللهم أشهدك أن لزينة عندى ألف دينار هى وديعة زوجها الراحل ،أودعها عندى لأردها لزوجته بعد الأجل المحتوم . وأشهدك أنى أردها إليها متى انتقلت معى إلى القصر الأخضر.

زينة : هاها (تلحق بأبى الفضول وهو يوثق حمله بالحبل) أنت غاضب يا أبا الفضول ؟ لم أنت غاضب ؟ لقد انتهى الشغل وجعل الله رد حقى لى على يديك ، لا تغضب منى .

أبو الفضول : ياست انتهى الشغل . دعينى أذهب لحال سبيلى . (جانبا للحافظ) طاوعنى خالنا نخلص . إنقلب هكذا.

الشبندر : (جانبا) بينهما أمر . لعله لا يقع على دماغى أنا.. يبدو أن الخبيثة تحبه . سأرميه فى بلية .

زينة : أبقتك دموعى فما استطعت أن تذهب منذ ساعة. ألا أستطيع أن أبقيك وأنا فرحة بخلاصى .

أبو الفضول : (للحافظ) عدكما كنت. (ينقلب الخرج ليتيح له ربطه) أرحنى. (لزينة) أتريدين أن أخدمك فى بيته ؟

الشبندر : (جانبا) بينهما سر لا جدال . سيشهد على . لا بد أن أرميه فى السجن . سأضع خاتمى فى خرجه وأسلمه للشرطة ، وإلا وجدته تحت فراشنا كل ليلة .. (يخلع الخاتم ويتشبث بالخرج زاعقا) جلنار! ضع حملك

ياخبيث. جلنار! (تدخل جلنار مهرولة) إذهبي إلى الطريق ونادى الشرطى هنا . سأعرف خلاصى معلك أنا . . أين خاتمى ؟ دخلت بخاتمى والآن لا أجده فى إصبعى .

جلنار : سرق البيت والله. حرامى !

زينة : إخرسى .

الشبندر : إسمعى كلامى يابنت. نادى الشرطى هنا .. أين الخاتم يالص . (يعبث بفتحة الخرج ثم يصرخ) آه اقتيل ! القاتل ! (يهرول الى الشباك يفتحه) قتيل !

جلنار : (ماتسمع القاتل حتى يقر فى ذهنها أن أبا الفضول قتل الحافظ. ! ومن الشباك الآخر تصرخ بأعلى صوت) قتل سيدى ! إلحقونى ! القاتل ! ..

الشبندر) :
وجلنار) : (معا من الشباكين القاتل! ياداهيتى! إلحقونا! اللص! . .

(تطغى صرخاتهما على دقات الطبول المهيبة التى تعلن عن مرور موكب الخليفة تحت الشباك . ثم تتوقف الطبول. هرج)

أبو الفضول : نهاركم أسود جميعا ... أين وقعت ؟

زينة : الخليفة !

((يدخل الخليفة والوزير والقاضى ومسرور وجمهرة من

الخلق أمام الباب يفسحون لهم الطريق . تسبق جلنار الشبندر لتفتح الباب. يدخل الثلاثة الكبار يتبعهم مسرور. جلنار لم تلحظ أن الخليفة نفسه هو المتقدم فتجذبه من يده الى الداخل .. نحو الحلاق)

جلنار : هنا يا شرطى . هذا الرجل . امسك به . سرق قرطى وخاتم السيد ثم قتل ... (تلتفت إليه فتتعرف عليه) آه ! الخليفة ؟ ! ياخرابى ! يا خرابى ! .. (تختبىء خلف ستار الغرفة الداخلية)

الشبندر : مرحبا بسيد الناس . أعف عنى يامولاى . لم ألحظ أن موكبكم العظيم فى الطريق .. ولكن هذا المجرم أفزعنا (مشيرا لأبى الفضول) فطاش صوابنا . ويحمل فى خرجه جثة قتيله المذكور ...

أبو الفضول : الله ! لاقتيل ولاحاجة! تريد أن ترمينى فى مصيبة؟! قتيل إيه يا شيخ ؟

الخليفة : (يرفع يده طالبا السكوت) ما هذا الذى يجرى هنا ؟ قف بالباب يا مسرور . لا يتحرك أحدكم . (يتبين أبا الفضول) من أرى ؟ أنت ؟ !

أبو الفضول : لست أنا يامولاى ... لست بالضبط ...

الوزير : (محييا) سيدى الشبندر . (لأبى الفضول) هـــذا الصعلوك ثانية ؟ !

القاضى : (محييا) سيدى الشبندر . (لأبى الفضول) فى كل مصيبة نراه ؟ !

الخليفة : ماذا تفعل هنا ؟

أبو الفضول : ماذا أقول ياست ؟ ماذا أقول يا حيزبون ! خرجته من دارى فى أمان الله . ولم أستفتح بعد ...

الخليفة : أجب . ماذا تفعل هنا ؟

القاضى : ماذا يفعل ؟ يسرق أو يقتل أو ينهب ...

الشبندر : ياه ! له سوابق ؟ . .

الخليفة : أ كلما نزلت من قصرى ومشيت فى شوارع بغداد ، تناثرت علىّ الصرخات الثاقبة ... وأدخل لأنظر ، فأجدك أنت سبب المصيبة ؟

أبو الفضول : آه . وقع الفاس فى الراس ! . . جالك كلامى ياست ؟ .. (يقلدها) « تزوجنى يا أبا الفضول . . لا تتركنى الآن ! أنا خائفة ! إحمنى ! أهون عليك ؟! إجعله يبقى ياسيدى .. » حتى تمت المصائب وجاء ... (يستدرك) عفوك يارب . ماذا أقول لمولانا الخليفة ياناس ؟ على رغمى يا مولاى ، على رغمى .

الخليفة : ما هذا الهراء الذى تهذى به ؟

الشبندر : إذاسمح لى مولاى ،وسيدى الوزير ، وسيدى القاضى .. أصف لكم الواقعة .

الخليفة : (غير ملتفت للشبندر) لمن هذا البيت ؟
زينة : هذا بيتى يا مولاى .
الخليفة : لا بأس عليك . تفضلى بالجلوس .
زينة : عفوك يامولاى .
الشبندر : إن أذن لى مولاى ، وسمح سيدى الوزير ، وسيدى القاضى ...
الخليفة : (غير ملتفت إليه) إشرحى لنا هذه الواقعة .
الشبندر : مولاى ...
الخليفة : (ضيقا به) ماذا أيها الشبندر ! ألا ترى أن صاحب البيت أولى بفتح الحديث ؟ ألا ترى أن المرأة أضعف من الرجل؟ فأولى بنا أن نبدأ بسماع حجتها.. إقترب يا وزيرى . إفتح أذنيك جيدا لما تسمع كى تفسره لنا . تفضلى .
زينة : شكرا يامولاى . أرى رسم العدل على جبينك .
الخليفة : قول حسن ، لم يقدر عليه شاعرى المغرور، وصوت يذهب الكدر . هه . هل صرخت علينا ياسيدتى واستغثت بنا من الشباك ؟
زينة : نعم يامولاى. لتنصفنى .
الشبندر : كذابة ! أنا الذى صرخت . (مستدركا) عفوك يامولاى ...

الخليفة : (ينظر اليه متوعدا ثم يعود ليصغى لزينة) إذا كان الحق معك مثلما خباك الله من حسن ، فستجدين الانصاف على يدىّ إن شاء الله. تكلمى.

زينة : إننى أشكو لك هذا الشبندر يامولاى . لقد أودع زوجى عنده ألف دينار ومات . وأبلغنى بذلك وهو يحتضر على مسمع من جاريتى . ولما ضاقت بنا الوسائل ، وبعنا الحلى والأشياء الثمينة ، خرجت بنفسى إلى الشبندر فى دكانه وطالبته بوديعة زوجى ، فأنكرها طمعا فىّ...

الخليفة : لعل زوجك يرحمه الله أخطأ وهو فى سكرة الموت ، أو لعلك أخطأت السمع وأنت فى غمرة الحزن . ما رأيك يا قاضى بغداد ؟

القاضى : البيِّنة على من ادّعى .

الخليفة : قول سهل . ولكن كيف تكون البينة ؟ ذاك رجل أسرّ بالأمر إلى زوجته وهما فى خلوة .

الشبندر : هنا قتيل يامولاى . جريمة قتل .. إذا سمحت لى...

الخليفة : (يسكته باشارة) كيف تكون البينة ؟

القاضى : وثيقة صحيحة ، أو شاهدين عدلين .

الخليفة : إجلس للقضاء بينهما إذن .

الوزير : مولاى .

الخليفة : ماذا أيها الوزير ؟

الوزير : (هامسا) قبل أن نقضى فى هذه القضية ، يجب أن نتحقق من بضعة أشياء .

الخليفة : أية أشياء ؟

الوزير : هذه الزكيبة ما هى ؟ ما حكاية القتيل ؟ ما سبب وجود هذا الفضولى ؟ أين نقف نحن ؟

الخليفة : (قلقا) أتظن أننا وقعنا فى كمين ؟

الوزير : لعل غيرنا وقع فى كمين ، ونحن اتخذنا دون علمنا بعض شباك هذا الكمين .

الخليفة : ما الحكاية ؟ ما هذا الذى تقول ؟

الوزير : دعنى أنظر أين نحن، أولا .

الخليفة : ألسنا فى بعض مملكتى ؟

الوزير : نحن فى مملكة مولانا لا ريب .

الخليفة : أليست هذه الأرض خاضعة لقوانيننا وإجراءات عدالتنا وقضائنا ؟

الوزير : هى كذلك لا شك .

الخليفة : دع العدالة تأخذ مجراها إذن . تفضل يا قاضى بغداد . قضية واضحة . إما البينة أو اليمين . تفضل .

القاضى : ألديك وثيقة صحيحة تثبت هذه الواقعة التى تدعينها على الشبندر ؟

زينة : لا ياسيدى .

القاضى : ألديك شاهدان عدلان ؟

زينة : نعم يا سيدى .

الشبندر : تكذب . أف . .

القاضى : أين هما ؟

زينة : لقد جعلته يُشهد الله منذ برهة على صحة الوديعة أمام شاهدين . أحدهما أبو الفضول ...

القاضى : لا تقبل شهادته . .

أبو الفضول : إجعل العواقب سليمة يا رب .

زينة : ألست كامل الأهلية ؟ ضاع جهدى عبثاً . .

الخليفة : ناقص الأهلية ؟! كان يحمل رخصة منذ أيام .

القاضى : مولاى ليس الأمر كذلك ، ولكن . . مثله ممن يؤجر للشهادة الزور .

الخليفة : لعله لم يؤجر .

القاضى : اعتدت يا مولاى ألا أعوِّل على شهادة معدم .

الخليفة : ماذا ؟ ! أهذا يتفق وشريعة الله ؟

القاضى : أصل الحكاية أن ...

الخليفة : أهذا يتفق وشريعة الله ؟ أجب .

القاضى : عندى يا مولاى أن ...

الخليفة : إذن .. إن أنا أرغمتك على قبول شهادته ، قالوا يتدخل فى القضاء . وإن لم أتدخل ، تصدر حكماً باطلا باسمى أحمل وزره يوم القيامة . تنح . سأجلس أنا للقضاء بينهما فإن سلطتى تخول لى ذلك . أين شاهدك الثانى ؟

زينة : (تتقدم للخرج) هذا هو يا مولاى ؟

أبو الفضول : (لزينه) لا حق لك . ستنهار الدنيا على دماغى أنا .

زينة : هو شاهدى .

أبو الفضول : بل هو حق أنا . أنا المتصرف فيه .

زينة : أتمنع شهادة شـــاهد أمام المحكمة ؟ إنك إذن تدخل السجن .

أبو الفضول : ياست . الله ! حرام عليك . عندى سبع عيال .

الخليفة : ما الذى تتنازعانه ؟

زينة :
أبو الفضول : (معا) هذا .. الخرج !

الخليفة : هذا شاهد ؟!

زينة : نعم .

الشبندر : هذاهو القتيل . (جانبا) أتكون المرأة أوقعتنى فى كمين ؟

الخليفة : من يكون . ما يكون ؟!

أبو الفضول : ضعت ! سأموت . مت . قتلت . هذا الخرج ملكي يا مولاي . أنا أشحذ به .

الخليفة : شيء عجيب . إما أن تقول لي الحق من فورك أو أرميك في السجن لا ترى نور الشمس .

أبو الفضول : قولة حق تقتلني .

زينة : لا تخف . لتأخذ العدالة مجراها ، ومولاي الخليفة يؤمنك ..

الخليفة : عليك الأمان . تكلم .

أبو الفضول : آه ؟ آه ؟ تـ .. بـ .. سـ .. (يدور في الغرفة) كيف السبيل إلى الخلاص منه بعد ذلك ؟ الخليفة سيقضي في دقيقة ويمضي . من الذي سيحميني غداً ؟ بعد غد ؟ العام القادم ؟ أعيش حياتي وسيفه مسلط فوق عنقي ...

الخليفة : ما هذا الذي تهذي به . خذ . (يرمي له منديله) إليك منديل الأمان . لا يؤذيك أحد وهو في كمك . تكلم .

زينة : أمنك الخليفة يا أبا الفضول .

القاضي : (للوزير جانبا) لعله لا يقتل في كل يوم قتيلا محتمياً بالمنديل ..

الوزير : (جانبا) الأمان لهذا المشاغب ؟!

أبو الفضول : لا تأخذ هذا المنديل مني ثانية .. أبداً ؟

الخليفة : لا آخذه منك أبداً .

أبو الفضول : بربك . وحياة رأسك العالية . وحق إيمانك بالله والعدل . . إعط كل رجل من رعيتك منديلا .

الخليفة : أتعلم كم رجلا فى رعيتى ؟

أبو الفضول : ما يكونون .

الخليفة : إن نصف العالم رعيتى .

أبو الفضول : لكل رجل منديل .

الخليفة : طلب عجيب . (للوزير) أأنت تخيف رعيتى ياوزير ؟ أم من ؟ قدم الشاهد يا حلاق .

أبو الفضول : (يجرجر الحرج تحت قدمى الخليفة بجهد جهيد) هـذا هو . .

الوزير : مولاى . ألتمس أن تستمع لى .

الخليفة : (جانبا) ما خطبك ؟ (يولى أذنه للوزير)

الشبندر : (جانبا للقاضى) القتيل يشهد ؟! مهزلة !

القاضى : (جانبا للشبندر) إطمئن . سترى عنق هذا الحلاق تحت سيف الجلاد .

الوزير : (جانبا للخليفة) رجل حبسوه فى الزكيبة ، ويرغمونه على الشهادة .. جريمتان .

الخليفة : (جانبا للوزير) ما خطبه ؟ وما جعله لا يصرخ حين حضورنا ؟

الوزير : (جانبا للخليفة) لسنا ندرى بعد يا مولاى . ولكن أخشى أن يتمخض الأمر عن مهزلة . فهذا الحلاق...

الخليفة : (يضحك) سنرى . سنرى . (لأبى الفضول) إياك والخديعة. من يكون هذا الشاهد ؟ يجب أن يتقدم للمحكمة سافرا ، ويذكر اسمه وصنعته ومحل إقامته، ويقسم اليمين.. حسب الأصول .

أبو الفضول : الله ! وما أدرانى أنا بالأصول ! (يلكز الحافظ) تكلم أنت فأنت أدرى بالأصول. (سكون)

الشبندر : قتيل يا مولاى كما قلت لكم . كيف يتكلم ؟ !

القاضى : قتله الحلاق لا ريب .

زينة : (جانبا) أيكون مات ؟ ..

جلنار : (جانباً من وراء الستار) يا مصيبتى ! يا مصيبتى ! قتل الرجل ثم سرق البيت .

الخليفة : لا يتكلم . قتيل إذن .

أبو الفضول : (يلكز الحافظ) الله . تكلم . ستوقعنا فى مصيبة.

أمين السر : (فى الزكيبة) إيه ! أم ! آه ! ...

الخليفة : ما أسمع ؟ أنات احتضار.

أبو الفضول : احتضار إيه يا مولاى . هذا جنى لا يموت .

الخليفة
الشبندر : جنى ؟ !
القاضى

أبو الفضول : (متورطا) أقصد .. أريد .. نعم . نعم . هـــذا جنّى من الجن الذين حبسهم سيدنا سليمان لشقاوتهم .

الخليفة : (بروح طروب) أنستطيع أن نراه ؟

أبو الفضول : لا لا لا يا مولاى . فقد قضت حكمة النبى سليمان أن يحترق إن مسّته أشعة النهار . ولا يرضيك يا سيد الناس أن يحترق .

القاضى : خدعة !

الشبندر : إبليس !

أبو الفضول : لا إبليس ولا حاجة . هذا جنى طيب .

الخليفة : (متسليا جدا) وما اسمه ؟

أبو الفضول : إسمه ... قفة .

الخليفة : قفة ؟

أبو الفضول : لا لا لا .. إسمه . . زكيبة . لا لا .. أظن .. إسمه بقوطى . خرج . آه . خرج بالتأكيد .

الخليفة : يا قاضى . إكشف لنا صحة هذه الصفة ، وإلا فقد وقعت يا حلاق .

القاضى : أيتكلم العربية حتى نخاطبه ؟ (يقترب منه حذراً)

أبو الفضول : (هازئا) يتكلم العربية ؟ إنه ليخطب في المحكمة بأفصح لسان إن أردت .

الخليفة : دعه يتكلم إذن . أين عثرت به ؟

أبو الفضول : هو الذى عثر بي .

القاضى : (حائرا ومخاطبا الخرج) أنت إنسيّ أم جنى ؟ تكلم فأنت فى حمى أمير المؤمنين . لا تخف . هل حبسك أحد ؟ أتريد أن نخرجك ؟

أمين السر : (فى الخرج) جنى . جنى . (القاضى يقفز من المفاجأة والوزير ينصت باهتمام) لم يحبسنى أحد . إذا أخرجتمونى مت من فورى . بالله لايخرجنى أحد .

زينة : (تتنفس الصعداء) آه ...

أبو الفضول : (متنفسا الصعداء) قل لمولاى اسمك ومحل إقامتك واحلف اليمين .

أمين السر : (فى الخرج) الخا ... الخرج ، وإقامتى بالخرج . والله العظيم أقول الحق .

الخليفة : (متسليا جدا) أشهدتَ الواقعة التى تدّعى بها السيدة على الشبندر ؟

أمين السر : (فى الخرج) سمعت الشبندر بأذنى يُشهد الله على أنه مدين بألف دينار للسيدة زينة، واشترط عليها لكى يردها إليها شروطاً هى فى حل من الإستجابة لها، لأنها شروط مجحفة وتتعارض مع الشريعة وقانون البلاد.

الشبندر : خدعة ! هذه جريمة ! فليسفر الشاهد عن وجهه. هل تصح شهادة ملثم لا إسم له فى المحكمة ؟ تكلم يا سيدى القاضى ! بعد إذنك يا مولاى ...

الخليفة : لا بأس عليكما . تكلم يا قاضى . ما قولك فى هذه الشهادة ؟ هل هى صحيحة ؟

القاضى : لا تقبل إلا شهادة حاضر . نخرجه لنرى .

الشبندر : لا بد أن نراه .

أمين السر : (فى الخرج) بالله عليكم لا تخرجونى . شهادتى لها قيمتها. ترشد ولا تحسم . إختلف فيها الرأى لاستحالة التأكد من صفتى وشخصيتى . ولكن يؤخذ بها على أساس أنها قرينة من قبيل استدلال الكلب على الجانى ، أو استدلال الحمار على الطريق إلى بيته .

الخليفة : (يضحك ملء صدره) هذا فقيه والله !

الوزير : مولاى . فلننه الموضوع بسرعة ولنرحل .

الخليفة : (ينزعج) لم ؟ هل ثمة خطر علينا منه ؟

الوزير : ليس الأمر كذلك . (مشيرا لأبى الفضول): ولكن هذا الشرير ...

أبو الفضول : لم أنت متعجل ياسيدى الوزير . لقد كدنا نفرغ من القضية .

الوزير : لاشأن لك . سأحاسبك أنا حسابا عسيرا على ما فعلت وستجد انتقامى رهيبا .

أبو الفضول : علام ياسيدى الوزير ؟! الله ؟! خيرا تعمل شرا تلق . يا ست.. أنا كان مالى ومال الشغلانة دى .

الوزير : إبك . إبك كامرأة . إن فضولك وحيلك الشيطانية فاقت كل حد . وعبثك لم يعد من المحتمل السكوت عليه . سأعرف كيف أؤدبك .

القاضى : ألم أقل ذلك من قبل ؟

الخليفة : مرحى مرحى !.. فى الأمر سر كشفه الوزير ولم نعرفه ... ما هو ؟ ما هو أيها الشيطان ؟ لقد فاقت حيلك كل حد فعلا .. ها ها ها ...

أبو الفضول : أنا يا مولاى ؟ كله علىّ أنا ؟

الخليفة : أترى يا وزير أن الشاهد قد يكون مأجورا ؟ أم نأخذ بشهادته ؟

الوزير : أحكم للسيدة يامولاى ولنرحل .

الخليفة : هذا هو السر الذى كشفته أنت من دوننا جميعا .

وإذن .. ففى مملـكتى ينكر شبندر التجار على امرأة لا حول لها حقها . وبينما أحكم أنا بالعدل وبالحق فى قصرى .. تنتهك الحقوق فى الشارع ، ولا تأمن امرأة على عرضها ، ولا يأمن رجل على روحه إن يشهد بالحق . ماذا جرى أيها الوزير ؟ ما الذى يجرى هنا فى مملـكتى أيها القاضى ؟ والله إن كل ظلم يقع على أضعف الناس فى رعيتى أحمل وزره أنا يوم القيامة . أؤدى فروض دينى كما أمر الله .. فإذا رجال لى فى المغرب ينقضون وضوئى ، وإذا رجال لى فى المشرق يبطلون صلاتى وصيامى بما يرتكبون من مظالم على رعيتى . . باسمى . أيها الشبندر . إعط السيدة ألف دينار .

الشبندر : أمرك يامولاى .

زينة : إئذن لى يامولاى أن أقبّل طرف ثوبك .

الخليفة : لا بأس عليك يا ابنة العرب . (جانبا للوزير) ولـكن .. من يكون فى هذا الخرج ؟

الوزير : (جانبا للخليفة) سيرتاع القاضى حين يراه . أرجو أن نأخذه إلى قصر مولاى .

الخليفة : طيب . مسرور . أدع من يحمل الخرج إلى قصرنا .

أبو الفضول : (فزعا) لا لا يامولاى . إنه ملكى .

الخليفة : ليس ملكا لأحد . فالجن كالجبال والأنهار والآثار ملك الدولة .

أبو الفضول : (يدور فى الغرفة منهارا جدا) حسنة للفقير المسكين. تنفع فى يوم الدين! (لجلنار) قولى نيابة عنه وعنى: ياخرابى !

الخليفة : إلا أنى أتساءل لا ازال . ما الذى أتى بهذا الحلاق. إلى بيتك ياسيدتى الساعة ؟ أتعرفينه من قبل ؟

زينة : أبدا . أتت به الصدفة . وقد استغثت به وألححت عليه وبكيت له حتى رق لى ، وقبل أن يقف لى فى هذه المشكلة .

الخليفة : ألححت عليه؟! إنى أتصور أن يلح عليك هو ليتدخل. فيما لا يعنيه .

زينة : أبدا يامولاى . لقد غلبت أحايله حتى عرضت عليه الزواج منى..

أبو الفضول : آه .. الزواج !

الخليفة : الزواج ؟! بهذا الرجل ؟!

زينة : وقد أغضبه ذلك منى حيث شعر أنى جرحت مشاعره.

الخليفة : لا لا لا ... سيقدّر موقفك الآن.

أبو الفضول : على أى نحو أقدره ؟

الخليفة : ايهيه ! ماذا كانت تفعل امرأة وحيدة مسكينة فى محلها التغريك بالدفاع عنها ؟ أعذرها .

أبو الفضول : وما عذرها .. لتعبث بى ؟

الخليفة : عذرها .. أنها احتالت هذه الحيلة لتقوّى موقفها بك وتغريك بالتدخل فى القضية .

أبو الفضول : هذا هو الذنب يا أمير المؤمنين ، فأين هو العذر ؟

الوزير : وأنت ما عذرك إذ تضع رجلا فى زكيبة ، وتصرخ على الخليفة من الشبابيك ، وتدخل بيوت الناس .. مرة بدعوى أنك حمال ، ومرة بدعوى أنك شحاذ ؟

الخليفة : ألا ترى ياوزير قوة عذره ؟ الفضول . الفضول يغلبه على أمره ولا حيلة له فيما جبل عليه من تطفل .

الحلاق : أنا ؟ ! أنا الفضولى ؟ ! .. برضاك أنا الفضولى ؟ ! ياناس ! ياهوه ! برضاك أنا الفضولى ؟ ! أنا الطفيلى ؟ !

« ستار »